شرح الصلاة الكبرى

للشيخ الأكبر ابن عربي قدس سره

تأليف

الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي قدس سره
المتوفى ١١٤٣هـ

تحقيق

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون
بيروت - لبنان

شرح
الصلاة الكبرى

للشيخ الأكبر ابن عربي قدس سره

تأليف

الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي قدس سره

المتوفى ١١٤٣ هـ

تحقيق

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون
بيروت - لبنان

شرح الصلاة الكبرى
للشيخ الأكبر ابن عربي

Šarḥ al-Ṣalāt al-Kubrā

The explanation of "As-salat al-kobra" of Ibn Arabi

Author – المؤلف

الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ)

Sheikh Abdul Ghani Al-Nabulsi
(D. 1143H.)

Editor – المحقق

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

Sheikh. Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali

Classification – التصنيف

تصوف

Sufism

Pages ,Size – القياس ، عدد الصفحات

*128 p. ; 17*24 cm*

Year – سنة الطباعة

2012 A.D - 1433 H.

Printed in – بلد الطباعة

Lebanon – لبنان

Edition – الطبعة

First – الأولى

ISBN : 978-2-7451-7214-3

All Rights Reserved

BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون
Beirut-Lebanon بيروت - لبنان

Exclusive rights by © BOOKS - PUBLISHER Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © BOOKS - PUBLISHER Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة كتاب - ناشرون بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 71 289 277-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

ISBN 978-2-7451-7214-3
ISBN 2-7451-7214-X
9 782745 172143 90000

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الباطن في أحديته المعبر عنها بالكنز المخفي مصداقاً لما ورد في الأثر: «كنت كنزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبي عرفوني» حيث كان الله ولم يكن شيء غيره وهو الآن على ما عليه كان، والحمد لله الظاهر في واحديته المعبر عنها بتجلي الأسماء والصفات حيث كل يوم هو في شأن. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد عبد الله ورسوله وحبيبه، الإنسان الكامل، والخليفة الحقيقي، في أرض ناسوت جسمه، وملكوت سماء قلبه، وجبروت سرّ روحه.

وبعد فمعلوم عند المسلمين والمؤمنين والمحسنين أن الصلاة على النبي ﷺ هي من أفضل ما يتقرّب به المتقربون إلى الله تعالى وقد نبّه الله تعالى عباده وأحبابه على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية 56]، وكذلك النبي ﷺ بقوله: «**من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً**». فالصلاة على النبي ﷺ تجعل المصلي يتخلق بأخلاقه ﷺ ظاهراً وباطناً، حساً ومعنى، شريعة وحقيقة، قلباً وقالباً، ملكاً وملكوتاً، بصراً وبصيرة، فالنبي ﷺ هو الأسوة الحسنة، وهو باب الحضرة ومنتهاها. فقد جمع بدينه الكامل كل الأديان، وانطوى بسرّه كل أسرار الأنبياء والرسل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: الآية 3]، وقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم**

القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ـ آدم فمن سواه ـ إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر».

هذا وقد وهب الله أولياءه الذين ورثوا عن النبي ﷺ أحكام الشريعة وأسرار الحقيقة صيغاً جليلة في الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وقد حرص المريدون على تلاوة هذه الصلوات والتقرُّب بها إلى الله تعالى، كما حرص كثير من علماء الأمة الكبار المتشرِّعين والمتحقِّقين على جمع صيغ هذه الصلوات وأفردوا لها المؤلفات، ومن هؤلاء العلماء العارف بالله تعالى الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى، فله كتابان في ذلك هما أفضل الصلوات على سيد السادات، وجامع الصلوات ومجمع السعادات في الصلاة على سيد السادات.

ومن صيغ الصلوات على النبي ﷺ التي اشتهرت بين السادة الصوفية هي صلوات القطب أحمد بن إدريس، وصلوات الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، ومن هذه الصلوات الصلاة الكبرى للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي وهي هذه التي نقدِّمها للقرَّاء الكرام، وتزداد أهميتها وفائدتها لأن شارحها هو الشيخ العارف بالله تعالى عبد الغني النابلسي الذي يعتبر من متأخري أئمة التصوُّف المجدِّدين والمتابعين لمشرب الشيخ الأكبر في القول بوحدة الوجود، وللشيخ عبد الكريم الجيلي في القول بفلسفة الإنسان الكامل والحقيقة المحمدية، إضافة إلى كونه علّامة في علمي الشريعة والطريقة، ومما يدل على علو مقامه وطول باعه في شتى العلوم وخصوصاً في التصوُّف قوله في مقدمة ديوانه «ديوان الحقائق ومجموع الرقائق»:

وأنا الذي في ظاهري متمسِّك ... بشريعتي في سائر الأحكام
وأنا الذي في باطني متحقِّق ... بحقائق التوحيد والإلهام
أنا مجمع البحرين موسى ظاهرٌ ... والباطن الخضر الأجل السامي
هيهات أن تنجو فراعين العدا ... مني وبحري بالمعارف طامي
وعليّ من عين السرادق أعين ... للحق تحفظني مدى الأيام

وأنا لأطيار الحقيقة مخرس ... وأنا الإمام بها لكل إمام
وأنا البلاد وأهلها أنا لا سوى ... والشام من دون البرية شامي
والعارفون رعيتي في قبضتي ... والغوث والأقطاب من خدّامي
فافتح عيونك في وجوه قلوبنا ... وانظر إلى الأحوال يا متعامي
واصدق وصادقنا ولا تنظر إلى ... ما يقتضي منها فهوم عوام
نحن الشموس وما خفافيش الورى ... تسطيع تبصر غير محض ظلام

والكتاب ننشره محققاً عن مخطوط معهد دراسات الثقافة الشرقية بجامعة طوكيو رقم (335). وكان عملنا فيه على النحو التالي:

1 ـ نسخ المخطوط.

2 ـ ضبط النص.

3 ـ شرح بعض المصطلحات الصوفية.

4 ـ عزو الآيات القرآنية.

5 ـ تخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

6 ـ وضع متن الصلاة الكبرى بالفونط الأسود بين هلالين.

7 ـ وضع متن الصلاة الكبرى في أول الكتاب قبل شرح الشيخ عبد الغني النابلسي.

8 ـ ترجمة الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي قدّس سرُّه.

9 ـ ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي قدّس سرُّه.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوف الإسلامي تساعد المُريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات، التي يمر بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام، وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: الآية 99]. كل

ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان؛ الشريعة والطريقة والحقيقة؛ المُلْك والملكوت والجبروت، مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»، وقوله ﷺ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أسرار ما تعبَّدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: الآيتان ٣-٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: الآية ٦٩]، لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان ٢٢ - ٢٣].

كتبه الشيخ الدكتور
عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة شارح الصلاة الكبرى
الشيخ عبد الغني النابلسي
(1050 ـ 1143 هـ/ 1641 ـ 1731 م)

● هو العارف بالله تعالى المحقق الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم الدمشقي الصالحي الحنفي النقشبندي القادري المعروف بالنابلسي: شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف في شتّى العلوم من فقه وعقيدة وتصوُّف، متصوّف على مشرب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي الطائي صاحب فلسفة وحدة الوجود المتوفى سنة 638 هـ، والشيخ عبد الكريم الجيلي صاحب فلسفة الإنسان الكامل النبي محمد ﷺ ووراثه الكُمّل المتوفى سنة 805 هـ.

● ولد ونشأ في دمشق، ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سوريا، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق، وتوفي فيها في 24 شعبان سنة 1143 هـ.

● له مصنَّفات كثيرة، منها: «الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية» و«تعطير الأنام في تعبير المنام» و«ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث» فهرس لكتب الحديث الستة، و«علم الفلاحة» و«نفحات الأزهار على نسمات الأسحار» و«إيضاح الدلالات في سماع الآلات» و«ذيل نفحة الريحانة» و«حلّة الذهب الإبريز، في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز» و«الحقيقة والمجاز، في رحلة الشام ومصر والحجاز» و«قلائد المرجان في عقائد أهل الإيمان» رسالة في العقيدة، و«جواهر النصوص في شرح فصوص الحكم لابن عربي» تصوُّف

جزآن[1]، و«شرح أنوار التنزيل للبيضاوي» و«كفاية المستفيد في علم التجويد» و«الاقتصاد في النطق بالضاد» تجويد، و«مناجاة الحكيم ومناغاة القديم» تصوُّف، و«خمرة الحان ورنة الألحان»[2] شرح رسالة الشيخ أرسلان تصوُّف، و«خمرة بابل وغناء البلابل» من شعره، «ديوان الحقائق ومجموع الرقائق»[3] من شعره في التصوُّف، و«الرحلة الحجازية والرياض الأنسية» و«كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين» و«الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان» فقه، و«شرح المقدمة السنوسية» عقيدة، و«رشحات الأقلام في شرح كفاية الغلام» في فقه الحنفية، و«ديوان الدواوين» مجموع شعره، و«كشف الستر عن فرضية الوتر» رسالة في الفقه، و«لمعات الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار» رسالة، و«خمس مجموعات»، و«شرح الصلاة الكبرى لابن عربي» وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا، و«مفتاح المعية شرح رسالة طريقة السادة النقشبندية»[4].

(1) وهو مطبوع في الدار بتحقيقنا.
(2) والكتاب مطبوع في الدار.
(3) مطبوع في الدار.
(4) وهو مطبوع في الدار بتحقيقنا.

ترجمة
مؤلف الصلاة الكبرى
الشيخ الأكبر ابن عربي(*)

نسبه

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم أخي عديّ بن حاتم من قبيلة طيّ مهد النبوغ والتفوق العقلي في جاهليتها وإسلامها. يكنى أبا بكر ويلقب بمحيي الدين، ويعرف بالحاتمي وبابن عربي لدى أهل المشرق تفريقاً بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي.

مولده ونشأته

ولد في يوم الاثنين السابع عشر من رمضان عام خمسمائة وستين هجرية الموافق 28 يولية سنة ألف ومائة وخمس وستين ميلادية في مدينة «مرسية» بالأندلس، وهي مدينة أنشأها المسلمون في عهد بني أمية. وكان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف. وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأة تقيّة ورعة نقيّة من جميع الشوائب الشائبة. وهكذا درج محيي الدين في جو عامر بنور التقوى، فيه سباق حر مشرق نحو الشرفات العليا للإيمان، وفيه عزمات لرجال أقوياء ينشدون نصراً وفوزاً في محاريب الهدى والطاعة.

(*) مقتبسة من بحث للدكتور محمد غلاب بعنوان (المعرفة عند محيي الدين ابن عربي) ضمن (الكتاب التذكاري لمحيي الدين ابن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده) الصادر عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1969 م.

وانتقل والده إلى إشبيلية، وحاكمها إذ ذاك السلطان محمد بن سعد، وهي عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس، وفيها شب محيي الدين ودرج. وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب «الكافي»، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ملهماً في المعاني والإشارات. ثم أسلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه، يذكرهم لنا الإمام شمس الدين بن مسدي في روايته عن محيي الدين فيقول واصفاً متحدثاً عن أساتذته الأول: «كان جميل الجملة والتفصيل، محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق، والتقدم الذي لا يسبق، سمع في بلاده في شبابه الباكر من ابن زرقون، والحافظ ابن الجد، وأبي الوليد الحضرمي، الشيخ أبي الحسن بن نصر». ثم لا يذكر لنا التاريخ بعد ذلك شيئاً ذا بال عن شباب محيي الدين، ولا عن شيوخه، ومقدار ما حصل من العلوم والفنون؛ وإنما هو يحدثنا أنه مرض في شبابه مرضاً شديداً. وفي أثناء شدة الحمى رأى في المنام أنه محوط بعدد ضخم من قوى الشر، مسلحين يريدون الفتك به. وبغتة رأى شخصاً جميلاً قوياً مشرق الوجه، حمل على هذه الأرواح الشريرة ففرّقها شذر مذر، ولم يبق منها أي أثر، فيسأله محيي الدين من أنت؟ فقال له: أنا سورة يس.

وعلى أثر هذا استيقظ فرأى والده جالساً إلى وسادته يتلو عند رأسه سورة يس. ثم لم يلبث أن برىء من مرضه، وألقي في روعه أنه معدّ للحياة الروحية، وآمن بوجود سيره فيها إلى نهايتها ففعل.

وفي طليعة هذا الشباب المزهر بفضل ثروة أسرته تزوج بفتاة تعتبر مثالاً في الكمال الروحي والجمال الظاهري وحسن الخلق، فساهمت معه في تصفية حياته الروحية، بل كانت أحد دوافعه إلى الإمعان فيها.

وفي هذه الأثناء كان يتردد على إحدى مدارس الأندلس التي تعلم سراً مذهب الأمبيذوقلية المحدثة المفعمة بالرموز والتأويلات والموروثة عن الفيثاغورية والأورفيوسية والفطرية الهندية. وكانت هذه المدرسة هي الوحيدة

التي تدرس لتلاميذها المبادىء الخفية والتعاليم الرمزية منذ عهد ابن مسرة المتوفى بقرطبة في سنة 319 هـ ـ 931 م والذي لم يعرف المستشرقون مؤلفاته إلَّا عن طريق محيي الدين. وكان أشهر أساتذة تلك المدرسة في ذلك القرن ابن العريف المتوفى في سنة 1141 م فلم يره محيي الدين، ولكنه تتلمذ على منتجاته وعلى رواية تلميذه المباشر وصديق محيي الدين الوفي أبي عبد الله الغزال.

ومما لا ريب فيه أن استعداده الفطري ونشأته في هذه البيئة التقية، واختلافه إلى تلك المدرسة الرمزية، كل ذلك قد تضافر على إبراز هذه الناحية الروحية عنده في سن مبكرة وعلى صورة ناصعة لا تتيسر للكثيرين ممن تشوب حياتهم الأولى شوائب الغرائز والنزوات. فلم يكد يختم الحلقة الثانية من عمره حتى كان قد انغمس في أنوار الكشف والإلهام، ولم يشارف العشرين حتى أعلن أنه جعل يسير في الطريق الروحاني بخطوات واسعة ثابتة، وأنه بدأ يطلع على أسرار الحياة الصوفية، وأن عدداً من الخفايا الكونية قد تكشف أمامه، وأن حياته منذ ذلك العهد المبكر لم تعد سوى سلسلة من البحث المتواصل عما يحقق الكمال لتلك الاستعدادات الفطرية التي تنير أضواؤها جوانب عقله وقلبه. ولم يزل عاكفاً على ذلك النشاط الروحاني حتى ظفر بأكبر قدر ممكن من الأسرار. ولم تكن آماله في التغلغل إلى تلك الأسرار وبحوثه عن وسائلها الضرورية تقف عند حد، لأنه أيقن منذ نعومة أظفاره بأنه مؤمن بمبادىء عقيدة حقيقية أزلية مرت بجميع الأزمان الكونية، وطافت بكل الأجناس البشرية متممة ما فيها من نقص وقصور، وأنها جمعت كل الروحانيات في الوحدة الفطرية التي تتمثل من حين إلى آخر في صور تنسكية رفيعة تبدو على مسرح الإنسانية ردحاً من الزمن ثم تختفي، ولا يدرك حقيقتها إلا القليلون.

وأكثر من ذلك أنه حين كان لا يزال في قرطبة قد تكشف له من أقطاب العصور البائدة عدد من حكماء فارس والإغريق كفيثاغورس، وأمبيذوقليس، وأفلاطون ومن إليهم ممن ألقيت على كواهلهم مسؤولية القطبية الروحية في عصورهم المتعاقبة قبل ظهور الإسلام. وهذا هو السبب في أنه قد شغف بأن

يطلع على جميع الدرجات التنسكية في كل الأديان والمذاهب عن طريق أرواح رجالها الحقيقيين بهيئة مباشرة، وبصورة مؤسسة على الشرف العلمي الذي يحمل الباحث النزيه على الاعتماد عليه دون أدنى تردد أو ارتياب.

غير أن هذه السكينة الروحانية التي بدأت لدى هذا الشاب مبكرة والتي كانت ثمارها فيما بعد تتمثل في تلك المعرفة التي أشرنا إليها آنفاً، لم تدم طويلاً على حالة واحدة، إذ أنه لم يلبث أن تبين أول الأمر بالإلهام، ثم عن طريق الكشف الجلي أنه لم يعد له بدّ ـ في تلك البيئة المغربية إذ ذاك ـ من أحد أمرين: إما أن يجاري التيار العام الذي كان يحدق به إحداق السوار بالمعصم، وهو أن يتقيد في جميع أفكاره وتعقلاته وأحاسيسه ومشاعره وحركاته وسكناته بحرفية الدين التي لا روح فيها ولا حياة ولا سرّ ولا رمز ولا تأويل، وبهذا تختفي شخصيته الحقيقية وتفشل رسالته الطبيعية، وهذا شيء لا يستطيعه بأي حال، وإما أن يسير على فطرته وحسب تكوين عقله وقلبه فيصطدم في كل خطوة من خطواته من أهل الحل والعقد في البلاد. وقد حدث ذلك فعلاً حيث احتدمت بينه وبين بعض الأمراء الموحدين مجادلات عنيفة، وحيكت حوله دسائس قوية اتهمته بإحداث اضطراب في سياسة الدولة.

وإذ ذاك رأى في حالة اليقظة أنه أمام العرش الإلٰهي المحمول على أعمدة من لهب متفجر، ورأى طائراً بديع الصنع يحلق حول العرش ويصدر إليه الأمر بأن يرتحل إلى الشرق وينبئه بأنه سيكون هو مرشده السماوي، وبأن رفيقاً من البشر يدعى فلاناً ينتظره في مدينة فاس، وأن هذا الأخير قد أمر هو أيضاً بهذه الرحلة إلى الشرق، ولكنه يجب ألا يرتحل قبل أن يجيء إليه رفيق من الأندلس، فيفعل ما أمر به ويرتحل بصحبة هذا الرفيق.

وفيما بين سنتي 597، 620 هـ 1200، 1223 م يبدأ رحلاته الطويلة المتعددة إلى بلاد الشرق فيتجه في سنة 1201 م إلى مكة فيستقبله فيها شيخ إيراني وقور جليل عريق المحتد ممتاز في العقل والعلم والخلق والصلاح. وفي هذه الأسرة التقية يلتقي بفتاة تدعى «نظاما» وهي ابنة ذلك الشيخ، وقد حبتها

السماء بنصيب موفور من المحاسن الجسميّة، والميزات الروحانية الفائقة، فاتخذ منها محيي الدين رمزاً ظاهرياً للحكمة الخالدة، وأنشأ في تصوير هذه الرموز قصائد سجلها في ديوان ألفه في ذلك الحين.

وفي هذه البيئة النقية المختارة له من قبل سطعت مواهبه العقلية والروحية، وتركزت حياته الصوفية، وجعلت تصعد في معارج القدس شيئاً فشيئاً حتى بلغت شأواً عظيماً. ومن ذلك أنه في إحدى طوفاته التأملية والبدنية بالكعبة يلتقي من جديد بمرشده السماوي الذي أمره سالفاً بالهجرة من الأندلس والمغرب إلى الأصقاع الشرقية، فيتلقى منه الأمر أيضاً بتأليف كتابه الجامع الخالد «الفتوحات المكية» الذي ضمنه أكثر وأهم آرائه الصوفية والعقلية ومبادئه الروحية، والذي لا يتطاول إلى قمته في عصره أي كتاب آخر فيما نعلم من إنتاج هذا الصنف من المتنسكين.

وفي سنة 1204 م يرتحل إلى الموصل حيث تجتذبه تعاليم الصوفي الكبير علي بن عبد الله بن جامع الذي تلقى لبس الخرقة عن الخضر مباشرة، ثم ألبس محيي الدين إياها بدوره.

وفي سنة 1206 م نلتقي به في القاهرة مع فريق من الصوفية الذي يطبقون حياة تنسكية قوية محافظة. وهنا يظهر له رائد سماوي يأمره بإدخال شيء من الكمال على مذهبه، ولكنه لا يكاد يفعل حتى يتنمر له عدد من الفقهاء يحيكون حوله وحول أصحابه شباكاً من الدسائس تهدّد اطمئنانهم بل حياتهم، ولولا نفود أحد أصدقائه لوقع في ذلك الخطر، ولكنه لحسن حظه يستطيع أن ينجو بنفسه ويفر إلى مكة في سنة 1207 م فيلتقي فيها بأصدقائه القدماء الأوفياء، ويقيم بينهم في هدوء وسكينة نحو ثلاثة أعوام، ثم يرتحل إلى قونية بتركيا حيث يتلقاه أميرها السلجوقي باحتفال بهيج.

وهناك يتزوج بوالدة صدر الدين القونيوي، وهو أحد تلاميذه المفضلين ثم لا يلبث أن يرتحل إلى أرمينيا، ومنها إلى شاطىء الفرات.

وفي سنة 1211 م نلتقي به في بغداد حيث يتصل بالصوفي المعروف شهاب الدين عمر السهروردي.

وفي سنة 1214 م يعود إلى مكة ولا يكاد يستقر فيها حتى يجد أن عدداً من فقهائها المنافقين الدساسين قد جعلوا يشوهون سمعته ويرمونه بأن قصائده التي نشرها في ديوانه الرمزي منذ ثلاثة عشر عاماً كانت تصور غرامه المادي الواقعي بالفتاة «نظام» ابنة صديقه الشيخ الإيراني التي أشرنا آنفاً إلى أنه اتخذ منها رمزاً نقياً للحكمة الخالدة. وعندما تبيّن هذه التهمة الرخيصة وعرف مصادرها الحقيقية حمل عليها وعلى واضعيها حملة قوية كشفت زيفها للجميع بصورة جعلت القائمين بها يعترفون بأخطائهم ويعتذرون إليه عنها.

وبعد ذلك يرتحل إلى حلب فيقيم بها ردحاً من الزمن معززاً مكرماً من أميرها. وأخيراً يلقي عصا التسيار في دمشق في سنة 1223 م حيث كان أميرها أحد تلاميذه المؤمنين بعلمه ونقائه ويظل بها يؤلف ويعلم، ويخرج التلاميذ والمريدين يحوطه الهدوء وتحف به السكينة حتى يتوفى بها في 28 ربيع الثاني من سنة 638 هـ الموافق 16 نوفمبر من سنة 1240 م.

مؤلفاته وشيوخه(*)

قال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء» ضمن ترجمته للشيخ ابن عربي:

وقد اطلعت له على إجازة أجاز بها الملك المظفر ابن الملك العادل الأيوبي، ذكر فيها كثيراً من مشايخه ومؤلفاته، ولتمام الفائدة أذكرها هنا بحروفها فأقول: قال رضي الله عنه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، وبه نستعين: أقول وأنا محمد بن عليّ بن العربي الطائي الأندلسي الحاتمي، وهذا لفظي: استخرت الله تعالى، وأجزت السلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي، ابن الملك العادل المرحوم إن شاء الله تعالى أبي بكر بن أيوب وأولاده، ولمن أدرك حياتي الرواية عني في جميع ما رويته عن أشياخي، من قراءة وسماع ومناولة وكتاب وإجازة، وجميع ما ألفته وصنفته من ضروب العلم، وما لنا من نثر ونظم على الشرط المعتبر بين أهل هذا الشأن، وتلفظت بالإجازة عند تعبيري هذا الخط، وذلك في غرة محرم سنة 632 بمحروسة دمشق وكان قد سألني في استدعائه أن أذكر من أسماء شيوخي ما تيسّر لي ذكره منهم، وبعض مسموعاتي، وما تيسر من أسماء مصنفاتي، فأجبت استدعاءه نفعه الله تعالى بالعلم، وجعلنا وإياه من أهله، إنه وليّ كريم.

فمن شيوخنا أبو بكر بن أخلف اللخمي، قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع بكتاب الكافي لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني في

(*) انظر جامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف النبهاني (ج 1 ص 163 - 169).

مذاهب القراء السبعة المشهورين، وحدثني عن ابن المؤلف.

ومن شيوخنا في القراءة أبو الحسن شريح بن محمد بن محمد بن شريح الرعيني، عن أبيه المؤلف.

ومن شيوخنا في القرآن أيضاً أبو القاسم عبد الرحمٰن بن غالب الشراط، من أهل قرطبة، قرأت عليه أيضاً القرآن الكريم بالكتاب المذكور وحدثني أيضاً عن ابن المؤلف أبي الحسن شريح عن أبيه المؤلف محمد بن شريح المقري.

ومن شيوخنا القاضي أبو محمد عبد الله البازلي قاضي مدينة فاس، حدثني بكتاب «التبصرة في مذاهب القراء السبعة» لأبي محمد مكي المقري عن أبي بحر سفيان ابن القاضي، عن المؤلف بجمع تآليف مكي أيضاً، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي حمزة، سمعت عليه كتاب التيسير في مذاهب القراء السبعة لأبي عمرو عثمان بن أبي سعيد الداني المقري، حدثني به عن أبيه عن المؤلف وبجميع تآليف الداني وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد بن دربون، سمعت عليه كتاب البقعي لأبي عمر يوسف بن عبد البر النميري الشاطبي، وحدثني به عن أبي عمران موسى بن أبي بكر ابن المؤلف وبجميع تآليفه مثل الاستذكار، والتمهيد، والاستيعاب، والانتقاء، وأجاز لي إجازة عامة في الروايتين، أجاز لي أن أرويه عنه وجميع تآليفه.

ومن شيوخنا المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمٰن بن عبد الله الإشبيلي، حدثني بجميع مصنفاته في الحديث، وعين لي من أسمائها تلقين المبتدي، والأحكام الصغرى والوسطى والكبرى، وكتاب العاقبة في ذكر الموت، وكتاب الرقائق ومصنفات أخر، وحدثني الإمام أبي محمد علي بن

أحمد بن حزم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح، عنه.

ومن شيوخنا عبد الصمد بن محمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني، سمعت عليه صحيح مسلم حدثني به عن الفراوي عن عبد الغفار الجلودي، عن إبراهيم المروزي عن مسلم، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا يونس بن يحيى أبي الحسن العباسي الهاشمي، نزل مكة سمعت عليه كتباً كثيرة في الحديث والرقائق، منها كتاب صحيح البخاري.

ومن شيوخنا المكيين أبو شجاع زاهد بن رستم الأصفهاني إمام المقام بالحرم، سمعت عليه كتاب الترمذي لأبي عيسى، حدثني به عن الكرخي عن الخزاعي المحبوبي عن الترمذي، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا البرهان نصر بن أبي الفتوح بن عمر الحصري إمام مقام الحنابلة بالحرم الشريف، سمعت عليه كتباً كثيرة منها السنن لأبي داود السجستاني، حدثني بها، عن أبي جعفر بن عليّ بن السمناني، عن أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي البصري، عن أبي علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، عن أبي داود، وأجاز لي إجازة عامة. وحدثني بكتب ابن ثابت الخطيب عن أبي جعفر السمناني.

ومن شيوخنا سالم بن رزق الله الإفريقي، سمعت عليه كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري، حدثني به عنه وبجميع مصنفاته وتآليفه، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا محمد أبو الوليد بن أحمد بن محمد بن سبيل، قرأت عليه كثيراً من تآليفه، وناولني كتاب «نهاية المجتهد وكفاية المقتصد» والأحكام الشريفة من تأليفه.

ومن شيوخنا أبو عبد الله بن العزي الفاخري، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا أبو سعيد عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور

الصفا، حدثني بكتب الواحدي كتابة عبد الجبار محمد بن أحمد الحواري عنه.

ومن شيوخنا أبو الوابل بن العربي، سمعت عليه سراج المهتدين للقاضي ابن العربي ابن عمه، حدثني به عنه، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا أبو الثناء محمود بن المظفر اللبان، حدثني بكتب ابن خميس عنه.

ومنهم: محمد بن محمد بن محمد البكري، سمعت عليه رسالة القشيري، وحدثني بها عن أبي الأسعد عبد الرحمٰن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، عن جده عبد الكريم، المؤلف، وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: ضياء الدين عبد الوهاب بن علي بن علي بن سكينة شيخ الشيوخ ببغداد، أجازني إجازة عامة، وأخذ عني وأخذت عنه، وسمعت عليه بمدينة باب السلام بحضور ابنه عبد الرزاق.

ومنهم: أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني، حدثني بتآليف البيهقي وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: أبو طاهر السلفي الأصبهاني، أجازني إجازة عامة، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن عمرو بن شريح الرعيني المقري، أجازني وكتب إليّ أن أروي عنه كتب عبد الرحمٰن السلمي، وحدثني عن محمد نصار البيهقي عنه.

ومنهم: جابر بن أيوب الحضرمي، أجازني إجازة عامة، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني المقري.

وممن أجازني إجازة عامة محمد بن إسماعيل بن محمد القزويني، والحافظ الكبير ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق.

ومنهم: أبو القاسم خلف بن بشكوال.

ومنهم: القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن الشافعي.

ومنهم: يوسف بن الحسن بن أبي النقاب بن الحسين وأخوه أبو العباس أيضاً، وأجازنا أبو القاسم ذاكر بن كامل بن غالب.

ومنهم: محمد بن يوسف بن علي الغزنوي الخفّاف.

ومنهم: أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسن بن عمر بن أحمد القرشي المياستي.

ومنهم: أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي الحافظ، كتب إليَ بالرواية عنه بجميع تآليفه ونظمه ونثره وسمى لنا من كتبه «صفوة الصفوة» و«مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن». وغير ذلك.

ومنهم: أبو بكر بن أبي الفتح الشيخاني.

ومنهم: المبارك بن علي بن الحسين الطباخ.

ومنهم: عبد الرحمٰن ابن الأستاذ، المعروف بابن علوان.

ومنهم: عبد الجليل الزنجاني.

ومنهم: أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن شداد الموصلي.

ومنهم: أحمد بن أبي منصور.

ومنهم: محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهب بن جامع بن عبدون البغدادي الصوفي يعرف بابن الثناء.

ومنهم: محمد بن أبي بكر الطوسي.

ومنهم: المهذب بن علي بن هبة الله الطيب الضرير.

ومنهم: ركن الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب، وأخوه شمس الدين أبو عبد الله.

ومنهم: القرماني ببغداد.

ومنهم: ثابت بن قرة الحاوي، قرأت عليه من كتبه وتآليفه، ووقفها بروايتها بمسجد العمادين الجلادين بالموصل.

ومنهم: عبد العزيز بن الأخضر.

ومنهم: أبو عمر عثمان بن أبي يعلى بن أبي عمر الأبهري الشافعي من أولاد البراء بن عازب.

ومنهم: سعيد بن محمد بن أبي المعالي.

ومنهم: عبد الحميد بن محمد بن علي بن أبي المرشد القزويني.

ومنهم: أبو النجيب القزويني.

ومنهم: محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الكريم الفاسي، قرأت عليه جميع مصنفاته.

ومنهم: أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسين الرازي.

ومنهم: أحمد بن منصور الجوزي.

ومنهم: أبو محمد بن إسحاق بن يوسف بن علي.

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحجري.

ومنهم: أبو الصبر أيوب بن أحمد المقري.

ومنهم: أبو بكر محمد بن عبيد السكسكي.

ومنهم: ابن مالك، حدثني بمقامات الحريري عن مصنفها.

ومنهم: عبد الودود بن سمحون قاضي النبك.

ومنهم: عبد المنعم بن القرشي الخزرجي.

ومنهم: علي بن عبد الواحد بن جامع.

ومنهم: أبو جعفر بن يحيى الورعي.

ومنهم: ابن هذيل.

ومنهم: أبو زيد السهيلي، حدثني بالروض الأنف في شرح السيرة والمعارف والأعلام وجميع تآليفه.

ومنهم: أبو عبيد الله بن الفخار المالقي المحدث.

ومنهم: أبو الحسن بن الصائغ الأنصاري.

ومنهم: عبد الجليل مؤلف المشكل في الحديث وشعب الإيمان.

ومنهم: أبو عبد الله بن المجاهد.

ومنهم: أبو عمران موسى بن عمران المزيلي.

ومنهم: الحاج محمد بن علي ابن أخت أبي الربيع المقومي.

ومنهم: عليّ بن النضر. ولولا خوف الملال وضيق الوقت لذكرنا جميع من سمعنا عليه ولقيناه.

وها أنا أذكر من تآليفي ما تيسّر فإنها كثيرة، وأصغرها جرماً كراسة واحدة، وأكبرها ما يزيد على مائة مجلد وما بينهما.

فمن ذلك كتاب المصباح في الجمع بين الصحاح في الحديث. اختصار مسلم. اختصار البخاري. اختصار الترمذي، اختصار المحلى. الاحتفال فيما كان عليه رسول الله ﷺ من سني الأحوال.

وأما الحقائق في طريق الله تعالى التي هي نتائج الأعمال، فمن ذلك وهو السابع كتاب من تصانيفنا «الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل» أفرغ في أربعة وستين مجلداً إلى **قوله** تعالى في سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ﴾ [الكهف: ٦٠]. الجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة. مفتاح السعادة في معرفة الدخول إلى طريق الإرادة. المثلثات الواردة في القرآن العظيم. الأجوبة عن المسائل المنصورة. متابعة القطب. مناهج الارتقا إلى افتضاض أبكار النقا بجنان اللقا، يحوي ثلاثة آلاف مقام في طريق الله تعالى على ثلاثمائة باب، كل باب عشرة مقامات، كنه ما لا بد للمريد منه. المحكم في المحكم وأذان رسول الله ﷺ. الخلاف في آداب الملإ الأعلى. كشف الغين:

سرّ أسماء الله الحسنى. شفاء العليل في إيضاح السبيل. عقلة المستوفز جلاء القلوب. التحقيق في الكشف عن سرّ الصديق. الإعلام بإشارات أهل الأوهام والإفهام في شرحه. السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج. المنتخب في مآثر العرب. نتائج الأفكار وحدائق الأزهار. الميزان في حقيقة الإنسان. المحجة البيضاء. كنز الأبرار فيما روي عن النبي ﷺ من الأدعية والأذكار. مكافأة الأنوار فيما روي عن النبي ﷺ عن الله تعالى من الأخبار. الأربعين المتقابلة الأحاديث الأربعين في الطول. العين. التدبيرات الإلٰهية في إصلاح المملكة الإنسانية تعشق النفس بالجسم. إنزال الغيوب على سائر القلوب. أسرار قلوب العارفين. مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية. الخلاء. المنهج السديد في شرح أنس المنقطعين. الموعظة الحسنة. البغية. الدرة الفاخرة في ذكر من انتفعت به في طريق الآخرة من إنسان وحيوان ونبات ومعدن. المبادي والغايات فيما في حروف المعجم من الآيات. مواقع النجوم. الإنزالات. الموجود. حلية الأبدال. أنوار الفجر. الفتوحات المكية عشرون مجلداً. تاج التراجم. الفحوص. الرصوص. الشواهد. القطب والإمامين. روح القدس. التنزلات الموصلية. إشارات القرآن في العالم والإنسان. القسم الإلٰهي. الأقسام الإلٰهية. الجمال والجلال. المقنع في إيضاح السهل الممتنع. شروط أهل الطريق. الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار. عنقاء مغرب. عقائد أهل علم الكلام. الإيجاد والكون. الرسائل والإشارات في الأسرار. الإلٰهيات والكتابات. الحجة. إنشاء الجداول والدوائر. الأعلاق في مكارم الأخلاق. روضة العاشقين. الميم والواو والنون. المعارف الإلٰهية وهو الديوان. المبشرات. الرحلة. العوالي في أسانيد الأحاديث. الأحدية. الهوية الرحمية. الجامع وهو كتاب الجلالة العظيمة. المجد. الديمومة. الجود. القيومية. الإحسان. الفلك والسعادة. الحكمة. العزة. الأزل. النون. الإبداع. الخلق والأمر. القدم. الصادر والوارد. الملك. الوارد والواردات. القدس. الحياة. العلم. المشتبه. الفهوانية. الرقم. العين. المياه. ركن

المدائن. المبادي. الزلفة. الرقيم. الدعاء. الإجابة. الرمز. الرتبة. البقاء. القدرة. الحكم والشرائع. الغيب. مفاتيح الغيب الخزائن العلمية. الرياح اللواقح. الريح العقيم. الكنز. التدبير والتفصيل. اللذة والألم. الحق. الحمد. المؤمن والمسلم والمحسن. القدر. الشأن. الوجود. التحويل. الوحي. الإنسان. التركيب. المعراج. الروائح والأنفاس. الملل. الأرواح. النحل، البرزخ. الحسن. القسطاس. القلم. اللوح. التحفة والعرافة. المعرفة. الأعراف. زيادة كبد النون[1]. الإسفار في نتائج الأسفار. الأحجار المتفجرة والمتشققة والهابطة. الجبال. الطبق. النمل. العرش. مراتب الكشف. الأبيض. الكرسي. الفلك المشحون. الهباء. الجسم. الزمان. المكان. الحركة. العالم. الآباء العلويات والأمهات السفليات. النجم والشجر. سجود القلب. الرسالة والنبوة والمعرفة والولاية. الغايات التسعة عشر. الجنة. النار. الحضرة. المناظرة بين الإنسان الكامل. التفضيل بين الملك والبشر. المبشرات الكبرى. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار. الأولين. العبادة. ما يعول عليه وهو كتاب النصائح. إيجاز اللسان في الترجمة عن القرآن. المعرفة. شرح الأسماء. الذخائر والأعلاق. الوسائل. النكاح المطلق. فصوص الحكم. نتائج الأذكار. اختصار السيرة النبوية المحمدية. اللوامح. اللوائح. الاسم والرسم. الفصل والوصل. مراتب العلوم. الوهب. انتقاش النور. النحل. الوجد. الطالب والمجذوب. الأدب. الحال. الشريعة والحقيقة. التحكم والشطح. الحق. المخلوق. الإفراد وذوو الأعداد. الملامية. الخوف والرجاء. الفيض والبسط. الهيبة والأنس. اللسانين. التواصي الليلية. الفناء والبقاء. الغيبة والحضور. الصحو والسكر. التجليات. القرب والبعد. المحو والإثبات. الخواطر. الشاهد والمشاهد. الكشف. الولد. التجريد والتفريد. العزة والاجتهاد. اللطائف والعوارف. الرياضة

---

(1) الحوت (مشارق الأنوار على صحاح الآثار لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي).

والتجلي. المحق والسحق. التودد والهجوم. التلوين والتمكين. اللمة والهمة. العزة والغيرة. الفتوح والمطالعات. الوقائع. الحرف المعني. التدني والتدلي. الرجعة. الستر والخلوة. النون. الختم والطبع. انتهت، ولعزتها ذكرتها هنا فإنها من أعظم كراماته رضي الله عنه، فلم أخرج بذكرها عن الصدد الذي ألف الكتاب لأجله، وقد رأيت كتاباً مستقلاً في ذكر مؤلفاته وفيه كثير منها لم يذكر هنا في هذه الإجازة، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة 638 هجرية.

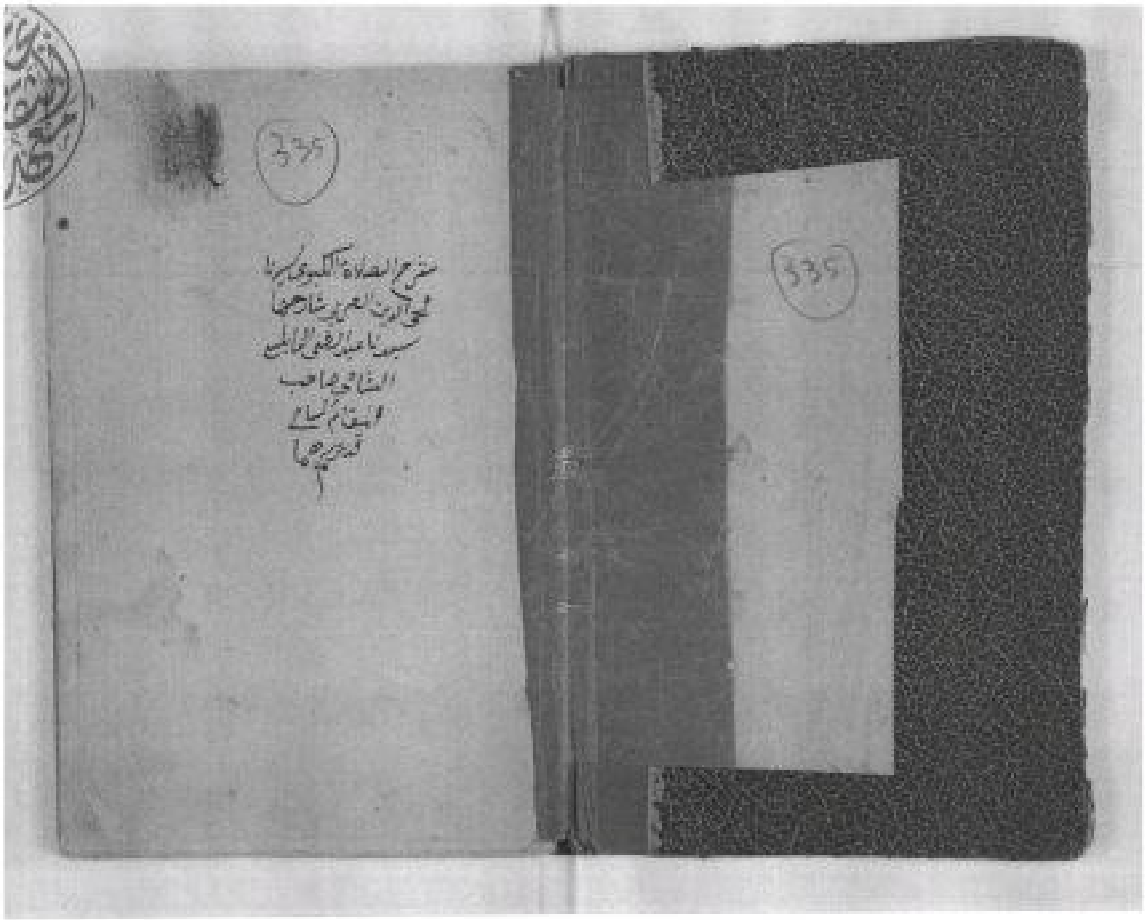

صورة غلاف المخطوط

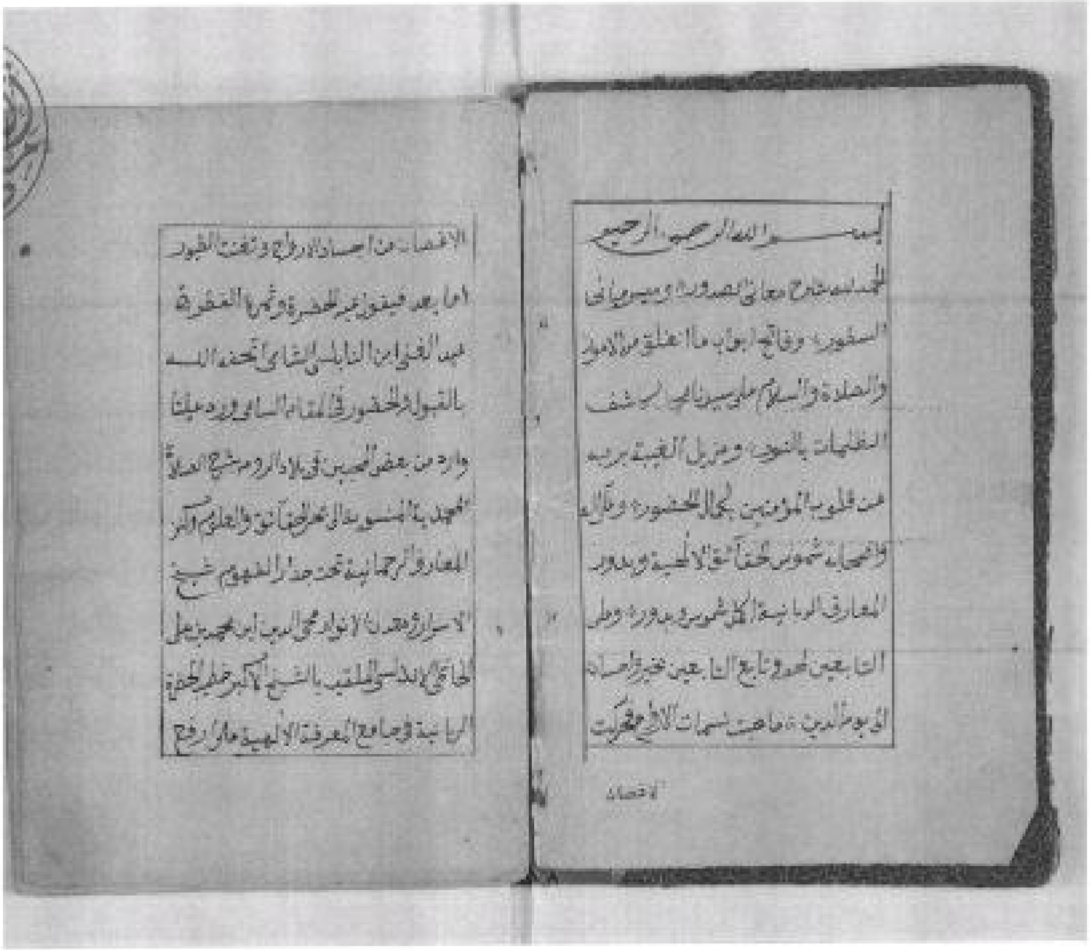

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله مخرج معاني الصدور، وميسر ما في
السطور، وفاتح أبواب ما أغلق من الأمور
والصلاة والسلام على سيدنا محمد كاشف
الظلمات بالنور، ومزيل الغيبة بريبه
عن قلوب المؤمنين بجمال الحضور، وعلى آله
والصحابة شموس حقائق الأحدية وبدور
المعارف الربانية الكاملة شموسه وبدوره، وعلى
التابعين لهم وتابع التابعين خير أجساد
الدنيا ما هبت نسمات الأسحار وتحركت
الأغصان

الأغصان من أجساد الأرواح وتفتحت الورود
أما بعد فيقول عبد الحضرة وثمرة الفطرة
عبد الغني ابن النابلسي الشامي تحفة الله
بالقبول والحضور في المقام السامي ورد علينا
وارد من بعض المحبين في بلاد الروم شرح الصلاة
المنسوبة إلى بحر الحقائق والعلوم أكبر
المعارف الرحمانية محيي دارس الفهوم شيخ
الأسرار ومعدن الأنوار محيي الدين أبي محمد بن علي
الحاتمي الأندلسي الملقب بالشيخ الأكبر خطيب الحضرة
الربانية وجامع المعرفة الإلهية ما درج

صورة الورقة الأولى من المخطوط

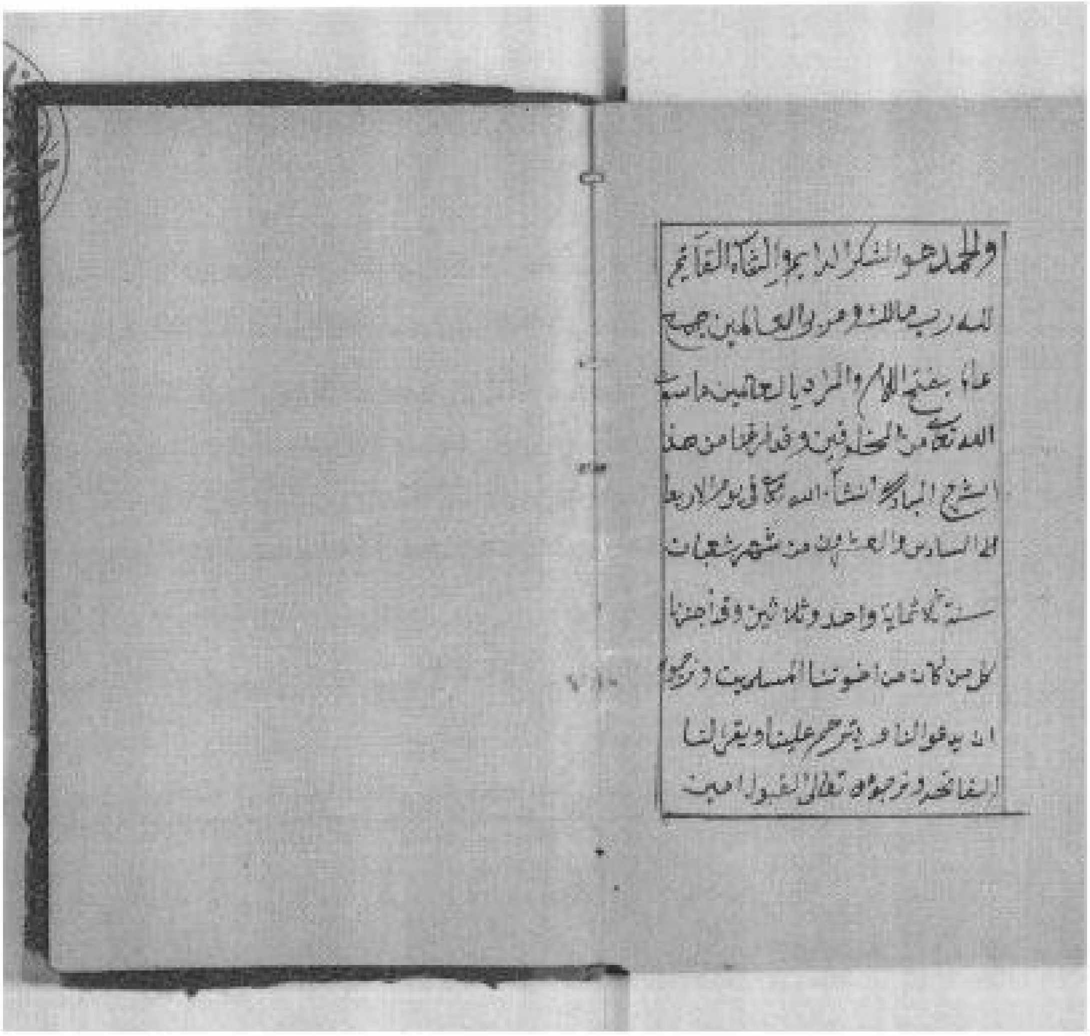

والحمد هو الشكر الدايم والثناء القايم
لله رب [illegible] العالمين [illegible]
على [illegible] الآل والمزيد [illegible]
الله تعالى من المخلوقين وفرغ من هذا
الشيخ [illegible] الله تعالى في يوم الاربعا
السادس والعشرين من شهر شعبان
سنة ثمانماية واحد وثلاثين وفقنا
لكل من كان من اخوتنا المسلمين ونرجو
ان يدعوا لنا وان يترحم علينا ويقرا لنا
الفاتحة ونرجوه تعالى القبول امين

صورة الورقة الأخيرة من المخطوط

متن الصلاة الكبرى

للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي
الحاتمي الطائي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّٰهُمَّ أفِضْ صِلَةَ صَلَواتِكَ وسَلامَةَ تَسْلِيماتِكَ على:

أوّلِ التَّعَيُّناتِ المُفاضَةِ مِنَ العَماءِ الرَّبّانِي،

وآخِرِ التَّنَزُّلاتِ المُضافَةِ إلى النَّوعِ الإنسانيِّ، المُهاجِرِ مِنْ مكّة «كان الله ولم يَكُنْ مَعَهُ شيءٌ ثانٍ»،

إلى مدينةِ «وهُوَ الآن على ما عليهِ كانَ»،

مُحْصِي عَوالِمِ الحَضَراتِ الإلٰهِيّةِ الخَمْسِ في وُجُودِهِ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية 12]،

وراحِمِ سائِلِي اسْتِعْداداتِها بِنَداءِ وُجُودِهِ(1) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية 107]،

نُقْطَةِ البَسْمَلَةِ الجامِعَةِ لِمَا يَكُونُ ولِمَا كانَ،

ونُقْطَةِ الأمْرِ الجَوّالَةِ بِدَوائِرِ الأكوانِ،

سِرِّ الهُوِيَّةِ التي في كُلِّ شيءٍ سارِيَةٌ،

وعَنْ كُلِّ شيءٍ مُجَرَّدَةٌ وعارِيَةٌ،

أمِينِ الله على خزائِنِ الفواضِلِ ومُسْتَودَعِها،

ومُقَسِّمِها على حَسَبِ القوابِلِ ومُوَزِّعِها،

كَلِمَةِ الاسْمِ الأعْظَمِ،

(1) وفي نسخة ورد عبارة [بِنَدَاه وَجُودِهِ] بدل [بنداء وجوده].

وفاتِحَةِ الكَنْزِ المُطَلْسَمِ،
المَظْهَرِ الأَتَمِّ،
الجامعِ بينَ العُبُودِيَّةِ والرُّبُوبِيَّةِ،
والنَّشْأةِ الأعَمِّ الشامِلِ للإمكانِيَّةِ والحَضَراتِ الوُجُودِيَّةِ،
الطَّوْدِ الأَشَمِّ الذي لَمْ يُزَحْزِحْهُ تَجَلِّي عَنْ مقامِ التَّمَكُّنِ،(1)
والبَحْرِ الخِضَمِّ الذي لَمْ تُعَكِّرْهُ جِيَفُ الغَفَلاتِ عَنْ صَفَاءِ اليَقِينِ،
القَلَمِ النُّورانِيِّ الجارِي بِمدادِ الحُرُوفِ العالِيَاتِ،
والنَّفَسِ السَّارِي بِمَوادِّ الكَلِماتِ التَّامَّاتِ،
الفَيْضِ الأَقْدَسِ الذَّاتِيِّ الذي تَعَيَّنَتْ به الأَعْيانُ واسْتِعْداداتها،
والفَيْضِ المُقَدَّسِ الصِّفَاتِيِّ الذي تَكَوَّنَتْ به الأَكْوانُ واسْتِمْداداتها،
مَطْلَعِ شُمُوسِ الذَّاتِ في سَمَاءِ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ،
ومَنْبَعِ نُورِ الإفاضاتِ في رِياضِ النِّسَبِ والإضافاتِ،
خَطِّ الوَحْدَةِ بينَ قَوْسَي الأحَدِيَّةِ والواحِدِيَّةِ،
وَوَاسِطَةِ التَّنَزُّلِ الإلٰهِيِّ من سَمَاءِ الأزلِيَّةِ إلى الأَرْضِ الأَبَدِيَّةِ،
النُّسْخَةِ الصُّغْرَى التي تَفَرَّعَتْ عنها الكُبْرَى،
والدُّرَّةِ البَيضاءِ التي تَنَزَّلَتْ إلى الياقُوتَةِ الحَمْراءِ،
جَوْهَرِ الحَوادِثِ الإمكَانِيَّةِ التي لا تخْلُو عَنِ الحَرَكَةِ والسُّكُونِ،
ومادَّةِ الكلِمَةِ الفَهْوَانِيَّةِ الطَّالِعَةِ مِنْ كُنهِ كُنْ إلى شَهادَةِ فَيَكُونُ،
هيولى الصُّوَرِ التي لا تَتَجَلَّى بأحد إلا مرة ولا تتجلى بأحد في عمره مرّتين أو بإحداها لاثْنَتَينِ،
ولا بِصُورَةٍ منها لأحَدٍ مَرَّتَينِ،
قُرآنِ الجَمْعِ الشَّامِلِ لِلْمُمْتَنِعِ والعَدِيمِ،

(1) وفي نسخة ورد كلمة [التمكين] بدل [التمكن].

وفُرْقانِ الفَرْقِ الفاصِلِ بينَ الحادِثِ والقَدِيم،
صائِمِ نَهارِ «أنّي أبيتُ عِنْدَ رَبّي»،
وقائِمِ لَيلِ «تنامُ عَيْنايَ ولا يَنامُ قَلْبي»،
واسِطَةِ ما بينَ الوُجُودِ وبينَ العَدَمِ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمٰن: الآية 19]، ورَابِطَةِ تَعَلُّقِ الحُدُوثِ بالقِدَمِ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمٰن: الآية 20]،

فَذْلَكَةِ دَفْتَرِ الأوّلِ والآخِرِ،
ومَرْكَزِ إحاطةِ الباطِنِ والظَّاهِرِ،
حَبِيبِكَ الَّذي اسْتَجْلَيْتَ بِهِ جَمالَ ذاتِكَ على مَنصَّةِ تجلّيَاتِكَ،
ونَصَبْتَهُ قِبْلَةً لِتَوَجُّهاتِكَ في جامعِ تَجَلِّيَاتِكَ،
وخَلَعْتَ عليهِ خِلْعَةَ الصِّفَاتِ والأسْماءِ،
وتَوَّجْتَهُ بِتاجِ الخِلافَةِ العُظْمَى،
وأَسْرَيْتَ بِجَسَدِهِ يَقْظَةً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المسجِدِ الأقْصَى،
حتّى انْتَهَى إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى،
وتَرَقَّى إلى منزلة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: الآية 9]،
فَأَسَرَّ فُؤادَهُ بِشُهُودِكَ حيثُ لا صَباحَ ولا مَساءَ،
وأَقَرَّ بَصَرَهُ بِوُجُودِكَ حيثُ لا خَلاءَ ولا مَلاءَ،
﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: الآية 17].
صَلِّ اللَّهُمَّ عليهِ صَلاةً يَصِلُ بِها فَرْعِي إلى أصْلِي،
ويَصِلُ بَعْضِي إلى كُلِّي،
لِتَتَّحِدَ ذَاتِي بِذَاتِهِ،
وتتَّحد صِفَاتي بِصِفَاتِهِ،
وتَقِرَّ العَيْنُ بالعينِ،

وَيَفِرُّ البَيْنُ مِنَ البَيْنِ،
وسَلِّمْ عليهِ سلاماً أَسْلَمُ بِهِ في مُتابَعَتِهِ مِنَ التَّخَلُّفِ،
وأَسْلَمُ في طَرِيقِ شَرِيعَتِهِ مِنَ التَّعَسُّفِ،
لأَفْتَحَ بابَ مَحَبَّتِكَ إِيَّايَ بِمِفْتاحِ مُتابَعَتِهِ،
وأُشْهِدُكَ في حواسِيَ وأَعْضَائِي مِنْ مِشْكاةِ شَرْعِهِ وطاعَتِهِ،
وأَدْخُلُ وَرَاءَهُ إلى حِصْنِ لا إِلَهَ إِلَّا الله،
وأَدْخُل في إِثْرِهِ إلى خَلْوَةِ لِيَ وَقْتٌ مَعَ الله،
إِذْ هُوَ بابُكَ الَّذِي مَنْ لَمْ يَقْصُدْكَ مِنْهُ سُدَّتْ لَهُ الطُّرُقُ وَجَمِيعُ الأَبْوَابِ،
وَرُدَّ بِعَصَا الأَدَبِ إلى إسطبل الدَّوَابِّ،
اللَّهُمَّ يَا رَبِّ يَا مَنْ لَيسَ حِجَابُهُ إِلَّا النُّورَ،
وَلا خَفَاؤُهُ إِلَّا شِدَّةَ الظُّهُورِ،
أَسْأَلُكَ بِكَ في مَرْتَبَةِ إِطْلاقِكَ عَنْ كُلِّ تَقْيِيدٍ،
الَّتِي تَفْعَلُ فيها ما تَشاءُ وتُرِيدُ،
وبِكَشْفِكَ مِنْ ذَاتِكَ بِالعِلْمِ النُّورِيِّ،
وتَحَوُّلِكَ في صُوَرِ أَسْمَائِكَ وصِفَاتِكَ بالوُجُودِ الصُّورِيِّ،
أَنْ تُصَلِّيَ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاةً تَكْحَلُ بِهَا بَصِيرَتِي بالنُّورِ المَرْشُوشِ في الأَزَلِ،
لأَشْهَدَ فَنَاءَ مَا لَمْ يَكُنْ وَبَقَاءَ ما لم يَزَلْ،
فَأَرَى الأَشْيَاءَ كما هِيَ في أَصْلِهَا مَعْدُومَةً مَفْقُودَةً،
وَكَوْنَهَا لَمْ تَشُمَّ رَائِحَةَ الوُجُودِ فَضْلاً عَنْ كَوْنِهَا مَوْجُودَةً،
وأَخْرِجْنِي اللَّهُمَّ بالصَّلاةِ عَليهِ مِنْ ظُلْمَةِ أَنَانِيَّتِي إلى النُّورِ،
مِنْ قَبْرِ جِسْمَانِيَّتِي إِلَى جَمْعِ الحَشْرِ وفَرْقِ النُّشُورِ،

وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ سَمَاءِ تَوْحِيدِكَ إِيَّاكَ،
مَا تُطَهِّرُنِي بِهِ مِنْ رِجْسِ الشِّرْكِ والإِشْرَاكِ،
وأَنْعِشْنِي بِالْمَوْتَةِ الأُولَى والوِلادَةِ الثَّانِيَةِ،
وأَحْيِنِي بِالحَيَاةِ الباقِيَةِ في هذه الدُّنيا الفانِيَةِ،
واجْعَلْ لِي نُوراً أَمْشِي بِهِ في النَّاسِ،
فَأَرَى بِهِ وَجْهَكَ أَيْنَمَا تَوَلَّيْتُ بِدُونِ اشْتِبَاهٍ ولا الْتِبَاسٍ،
ناظِراً بِعَيْنَي الجَمْعِ والفَرْقِ،
فَاصِلاً بينَ الباطِلِ والحَقِّ،
دَالاً بِكَ عَلَيكَ،
وهادِياً بِإِذْنِكَ إِلَيكَ،
بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ،
وصَلِّ وسَلِّم على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلاةً تَتَقَبَّلُ بِهَا دُعَائِي،
وَتُحَقِّقُ بِهَا رَجَائِي،
وعَلَى آلِهِ آلِ الشُّهُودِ والعِرْفَانِ،
وأَصْحَابِهِ أَصْحَابِ الذَّوْقِ والوُجْدَانِ،
ما انْتَشَرَتْ طُرَّةُ لَيلِ الكِيَانِ،
وأَسْفَرَتْ غُرَّةُ جَبِينِ العَيَانِ،
آمِينَ وسَلامٌ على المُرْسَلِينَ،
والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ.

❊ ❊ ❊

الخطبة

ومقدّمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله شارح معاني الصدور وميسّر مباني السطور، وفاتح أبواب ما انغلق من الأمور. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، كاشف الظلمات بالنور، ومزيل الغيبة بربّه عن قلوب المؤمنين بكمال الحضور، وعلى آله وأصحابه، شموس الحقائق الإلٰهية، وبدور المعارف الربانية، أكمل شموس وبدور، وعلى التابعين لهم، وتابع التابعين بخير وإحسان إلى يوم الدين ما هبّت نسمات الأرواح، فحرّكتِ الأغصانَ من أجساد الأرواح، وتغنّت الطيورُ.

أما بعد، فيقول عبد الحضرة، وثمرة الفطرة، عبد الغني بن النابلسي الشامي ـ أتحفه الله بالقبول والحضور في المقام السامي ـ ورد علينا واردٌ من بعض المحبّين في بلاد الروم شرح الصلاة المحمديّة المنسوبة إلى بحر الحقائق والعلوم، وكنز المعارف الرحمانية تحت جدار الفهوم، شيخ الأسرار، ومعدن الأنوار، محيي الدين بن محمد بن علي الحاتمي الأندلسي الملقب بالشيخ الأكبر، خطيب الحضرة الربانية في جامع المعرفة الإلٰهية على أرفع منبر ـ قدّس الله تعالى سرّه، وجعل في إشادة غيب الغيوب رجوعه ومقرّه ـ وسمّيته **ورد الورود وفيض البحر المودود**.

وأسأل الله تعالى كمال الإمداد، بجلال القبول وجمال الاستعداد، إنه البرّ الرحيم، نِعم الوكيل: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: الآية 4].

شرح

الشيخ عبد الغني النابلسي
على الصلاة الكبرى
للشيخ الأكبر
محيي الدين ابن عربي

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

اسم الله الذاتي جامعٌ للصفات والأسماء، والرحمة صفة ذاتية وسعت كل شيء بحكم قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: الآية 156]، وهي رحمة الرحمٰن ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: الآية 156] الآية، خصّص الله تعالى بها عباده المؤمنين المتّقين فكتبها على نفسه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: الآية 54] وكتبها في قلوبهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: الآية 22]، والكتابة واحدة.

قال صلى الله عليه «وآله» وسلم في الحديث القدسي: «**ما وسِعَني سَمَاواتي ولا أرْضِي وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبدِي المُؤمِنِ**»[1]، ولهذا اختصّ تعالى بالاسم الرحمٰن ولم يختصّ بالاسم الرحيم.

(**اللّهُمّ**) أي يا الله، والميم المشدّدة في الآخر قائمة مقام حرف النداء في الأوّل الياء والألف، فياء المتكلّم تظهر ألفَ الذات، والميم المشدّدة ميمان في اسم محمّد رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم»، فانتقلت الميم الأولى إلى الثانية وأدغمت فيها، فوقع التشديد، وهو التكليف لمن لم يقدر على شيء ممّا كسب، قال تعالى:

﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ [البقرة: الآية 264] فلو أسلموا أسلموا والكلام يطول في هذا المقام.

(**أفِضْ**) أي: أظهر فيضك القديم على هذا العديم، وإلّا فجميع أفعال الله

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2256) [2/ 255] وفيه لفظ [سمائي] بدل [سماواتي].

تعالى قديمة[1]، والكائنات جميعها مترتّبة في حضرة علم الله تعالى على حسب هذا الظهور[2].

(**صِلَةَ**) أي: عطية وهبة من خالص الكرم الإلٰهي والفضل الربّاني.

(**صَلَوَاتِكَ**) جَمْعُ صلاة، والصلاة من الله تعالى الرحمة[3].

(**وسَلَامَةَ**) أي: صحّة وقوّة.

(**تَسْلِيمَاتِكَ**) جمع تسليمة، وهي التنقية من الرذائل، أي: رذائل الأخلاق وقبائح الأعمال.

(**عَلَى أَوَّلِ التَّعَيُّنَاتِ**) جمع تعيُّن، وهو الصورة المفروضة المقدّرة المخلوقة من قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: الآية 2].

فسّر تعالى الخلق بالتقدير، والتقدير هو فرض وجود الشيء بمعنى ثبوته لا نفيه، فالثبوت ضدّ النفي، فالعوالم كلها ثابتة لا منفية، وما هي موصوفة بالوجود إلّا عند الغافلين من أهل الأوهام، ولم يرد في القرآن ولا في السنّة أنّ شيئاً من الأشياء موجود، وإنما الوارد أنه تعالى يمحو ما يشاء ويثبت.

وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: الآية 27] أي: الذين يدّعون الوجود لأنفسهم ولغيرهم، والوجود كله لله تعالى وحده، والكلّ لهم الثبوت لا الوجود، وهي وحدة الوجود عند أهل الحضور والشهود، ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا

---

(1) أفعال الله تعالى قديمة من حيث تعلق القدرة الصلوحي القديم أي القدرة صالحة من القدم لإخراج المعلومات من العدم إلى الوجود. وللقدرة تعلق ثان هو التعلق التنجيزي الحادث وهو إخراج الأشياء بالفعل من العدم (الغيب) إلى الوجود أي عالم الشهادة.

(2) أي علم الله تعالى يكشف ترتيب المعلومات على ما هي عليه، والإرادة تخصصها بما يجوز عليها والقدرة تبرز أي تظهر ما كشفه العلم وخصصته الإرادة إلى عالم الشهادة وهذا عند علماء الكلام وعند علماء الإحسان الله تعالى يتجلى بنوره بما علم بمقتضى اسم الله تعالى الظاهر والشؤون الإلٰهية الذاتية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 29].

(3) ومن الملائكة استغفار ومن العبادة دعاء.

يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: الآية 27]، وكلّهم لا يفعلون شيئاً، لأنّ كلّ شيء هالك ثابت بلا وجود إلّا وجهه تعالى، وهو الوجود الذي قام به كل شيء ولم يتّصف به شيء، وإنما اتّصف الشيء بالثبوت فقط دون النفي.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: الآية 35] أي: منوّرهما بنوره، أي مُظهرهما بوجوده، وهما في الثبوت دون النفي، والوجود كلّه له تعالى لا لشيء سواه، وهي المعيّة الإلهية المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: الآية 4]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: الآية 126]، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية 16].

وكون محمد صلّى الله عليه وسلّم أوّل التعيّنات، لأنّ الحق تعالى ـ وهو الوجود المطلق ـ منزّه مقدّس أزلاً وأبداً عن التعيّن، فلا تعيّن له مطلقاً حتى إنه منزّه عن تعيّن الإطلاق، فلا يُعرف أصلاً، وهذا التعيّن المحمدي أثبته الله تعالى بقوله الثابت في نفس وجوده تعالى الوجودُ الحقُّ، فلم يكن قبله تعيّن أصلاً، وهو حضرة علم الله المحيط بكل شيء: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 88] أي: إلّا ذاته سبحانه التي لا تعيّن لها: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: الآيتان 26 - 27] أي: ذاته سبحانه، ثم ظهر تجلّيه تعالى الأزلي، فظهرتِ التعيّنات المندرجة في التعيّن الأول بعد ظهور التعيّن الأوّل.

(**المُفَاضَةِ**) صفة للتعيّنات على حسب ترتيبها في الأزل، وهو تقدّم بعضها على بعض، وتأخّر بعضها على بعض ترتيباً قديماً بلا فعل فاعل، لأن الصفة العلم لله تعالى صفة قديمة، وكذلك معلومات العلم قديمات في العلم، إذ لولاها لم يكن العلم علماً، وكلها ثابتة لا منفية بلا وجود لها أصلاً، وهذه الإفاضة قديمة، وما ظهرت إلّا بالتجلّي القديم، وتأخر الحوادث بسبب الترتيب القديم: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية 282].

(**مِنَ العَمَاءِ**) هو السحاب الرقيق، قال في المصباح: العماء مثل السحاب وزناً ومعنًى، وقال أبو زيد: هو شبه الدخان يركب رؤوس الجبال، شبّه به النبي صلى الله عليه و«آله» وسلّم حضرة الله تعالى في علمه القديم المحيط بكل

شيء، وذلك أنهم قالوا: أين كان الله قبل أن يخلق العرش؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلّم: **«كانَ فِي عِمَاءَ لَيسَ فَوْقَهُ هَوَاءٌ ولا تَحْتَهُ هَوَاءٌ»**[1].

لأنّ العماء الذي تعرفه العرب سحاب رقيق كالدخان فوقه هواء وتحته هواء مثل السحاب المعروف عندهم، وهذا العماء كناية عن حضرة علمه تعالى المحيط بكل شيء، وذات الله تعالى الموصوفة بالعلم القديم المحيط بكل شيء معلومة له تعالى بعلمه بكل شيء.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: الآية 49] في قراءة رفع كلُّ على الخبرية، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88] أي: إلّا ذاته في كل شيء هالك لك، فلا شيء مع الله تعالى أزلاً وأبداً، وإنما الأشياء ثابتة، لا منفية ولا موجودة، والوجود كله هو الله تعالى الحقّ الحقيقي المنزّه عن جميع المخلوقات الثابتة الهالكة المعدومة، وقوله صلّى الله عليه «وآله» وسلّم: **«كانَ فِي عِمَاءَ» يعني: ولم يزل في عماء، فإنَّ «كان» في حقّه تعالى للدوام والاستمرار، وقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك المعنى بقوله: «كانَ الله ولا شَيءَ مَعَهُ»**[2] وهو الآن على ما عليه كان.

(**الرَّبَّانِيّ**) صفة للعماء المنسوب إلى الربّ تعالى، وهو الذي يرى في الدنيا والآخرة دون بقية الأسماء حضرة أسمائه تعالى، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان 22، 23]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية 15]، وقال تعالى عن موسى عليه السلام

---

(1) ورد بلفظ: «أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال: كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء». رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الأخبار عما كان الله فيه قبل خلقه السماوات والأرض، حديث رقم (6141) [14/ 8] ورواه الترمذي في سننه، باب ومن سورة هود، حديث رقم (3109) [5/ 288] ورواه غيرهما.

(2) صح بلفظ: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء» الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، حديث رقم (3019) [3/ 1166] ورواه غيره.

إنه قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: الآية 143]، وقال ﷺ: «**إنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم**».

(**وَآخِرِ**) معطوف على أول.

(**التَنَزُّلاتِ**) جمع تنزُّل بالتشديد، والتنزُّل: الحادث عندنا القديم عنده تعالى كما قال سبحانه: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ [النحل: الآية 96].

وسبب تغيّر هذا التنزُّل وحدوثه وفنائه الترتيب القديم في المعلومات الإلٰهية، وإنما تُكرّر هذه المعاني في تعريف العلم الإلٰهي لدعوتنا إلى الله على بصيرة حتى يتحقّق ذلك في قلوب المؤمنين متابعةً لرسول الله ﷺ، كما ورد عنه ﷺ إذا تكلم يكرِّر كلّ كلامه ﷺ، ثلاث مرات ليحفظ عنه ويُجهر به[1].

(**المُضَافَةِ**) أي: المنسوبة، كما هي كذلك في حضرة العلم الإلٰهي القديم، وهذا معنى أنّ الله تعالى خلق من نوره ﷺ جميع المخلوقات، يعني في حضرة العلم وفي حضرة الكون قِدماً وحدوثاً، باطناً وظاهراً[2].

---

(1) أشار إلى ذلك ابن حزم الظاهري في المحلّى، مسألة فرض على كل أحد من الرجال والنساء. . .، [10/ 105].

(2) يشير إلى الحديث الذي رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ قال: قلت يا رسول الله ﷺ بأبي أنت وأمي أخبرني عن عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السماوات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله» كذا في المواهب. وقال فيها أيضاً: واختلف هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي أم لا؟ فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني: الأصح أن العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «قدّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء. (انظر كشف الخفاء للعجلوني، حديث رقم (827) [1/ 311]).

(إلى النوع الإنساني) أي: المنسوب إلى الإنسان، يعني: على معنى التنزُّلات الكاملة الفاضلة من ذلك، اختصّ بها النوع الإنساني من دون بقيّة الأنواع الكونيّة، فإن آدم عليه السلام هو أوّل هذا النوع الإنساني، وذريّته نسخٌ منه، فمنهم كامل الإنسانية، ومنهم الناقص الذي استولت عليه الحيوانيّة، فترك اللذائذ الروحانية، وتبع الشهوات الجسمانيّة.

وهو ﷺ النوع الإنساني الكامل(1)، وورثته ملحقون به في معنى كماله ومبنى جلاله وجماله، لأنهم أصحاب بصائر ببركة متابعتهم له، قال تعالى له ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: الآية 108].

(المُهَاجِرِ) ﷺ أي: النازل وطنه الأصلي الذي ولد فيه بين أهله، قال في المصباح(2):

«هجرته هجراً من باب قتل: تركته ورفضته، والهجرة بالكسر مفارقة بلد إلى غيره، فإن كانت قربةً فهي الهجرة الشرعية، وهي اسم من هاجَرَ مُهَاجَرَةً».

(مِنْ مَكَّةَ) شرّفها الله تعالى، قال في المصباح: وقيل فيها: بَكّةَ على البدلية، وقيل: بالباء للبيت والميم مما حوله، وقيل: بالباء باطن مكة، وقد أضاف مكة إلى قول النبي ﷺ.

(كَانَ اللهُ) أي: وجد وجوداً حقيقيّاً مشهوداً له ﷺ.

(وَلَمْ يَكُنْ) أي: لم يوجد.

(مَعَهُ) تعالى **(شَيْءٌ ثَانٍ)**، لأنّ ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88] أي: إلّا ذاته، أي إلّا وجوده الحق، وكل شيء باطل، كما قال ﷺ:

(1) مصداقاً لقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، حديث رقم (4189) [2/ 660] ورواه ابن ماجه في سننه، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم (4308) [2/ 1440].
(2) المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي.

«أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا الله بَاطِلُ»[(1)].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: الآية 81]، فلمَّا هاجر النبي ﷺ من مكة إنما هاجر من بلاد فيها خلق من خلق الله تعالى، فهاجر من كل شرّ هالكٍ من البلاد وأهلها الفانين، لأنه هاجر من الوجود الحقّ الحقيقيّ الذي كلّ شيء ظاهرٌ بنور وجوده.

قال الله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: الآية 35].

وقال تعالى عن يوم القيامة الذي يكون فيه الكشف التامّ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: الآية 69].

(إِلَى مَدِينَةٍ) وهي يثرب المدينة المنوّرة.

قال في المصباح: «ثرب عليه يثرب من باب ضرب: عتب ولام، وبمضارع الغائب سمّي رجل من العمالقة، وهو الذي بنى مدينة النبي ﷺ فسمّيت باسمه.

قال السهيلي[(2)]: ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: الآية 92]، وأصل المدينة: المصر الجامع».

وقال في القاموس[(3)]: «والنسبة إلى المدينة مدينة النبي ﷺ مدني، وإلى

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر، حديث رقم (2256) [4/ 1768] ورواه أحمد في المسند عن أبي هريرة، حديث رقم (10076) [2/ 470] ورواه غيرهما.

(2) هو عبد الرحمٰن السهيلي (508. 581 هـ) (1114. 1185 م) عبد الرحمٰن بن عبد الله ابن أحمد بن أصبغ الخثعمي، السهيلي، الأندلسي، المالكي، الضرير (أبو القاسم، أبو زيد، أبو الحسن) مؤرخ، محدِّث، حافظ، نحوي، لغوي، مقرىء، أديب.
ولد بسهيل، وأخذ عن ابن العربي وغيره ونمي خبر نبوغه إلى مراكش، فطلبه واليها وأحسن إليه وأقبل عليه، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام، وتوفي بها في شعبان.
من مؤلفاته: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، القصيدة العينية، الروض الأنف في شرح تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام، نتائج النظر ومسألة رؤية الله عزّ وجلّ في المنام ورؤية النبي ﷺ، وشرح الجمل للزجاجي في النحو لم يتم، وله أشعار كثيرة. (معجم المؤلفين [5/ 147]).

(3) في القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

مدينة المنصور وأصفهان مديني وغيرهما».

ثم المدينة التي هاجر إليها النبي ﷺ إلى بقية قول النبي ﷺ في الحديث المأثور.

(وَهُوَ) أي: الله تعالى.

(الآنَ) أي: في كل وقت حال، دون وقت ماض ووقت مستقبل، لأنهما فانيان مع أهلهما جميعاً، فإنّ الوقت الحال بالنسبة إلى الله تعالى لا يتغيّر أصلاً، وإن تغيّر بالنسبة إلى ترتيب المعلومات الإلهية بعضها على بعض، وهو معنى التجلّي الربانيّ الذي هو معرفة العارفين بربّهم، وهو عندهم المحسوس بالحواسّ الخمس:

السمع، والبصر، والذوق، والشمّ، واللمس، لا هو معقول عندهم، أي مربوط بصورة عقلية كما هو عند العقلاء من أهل الغفلة الجاهلين بالله تعالى.

(علَى مَا عَلَيهِ كَانَ) قديماً في الأزل، وهو الوجود الحقيقيّ المطلق الخالص المنزّه المقدّس عن جميع معلوماته القديمة المعدومة في نفسها، الثابتة بإثباته في علمه على ما هي عليه في ترتيبها القديم، ولا يُظهرها إلّا تجلّيه، فـ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: الآية 3]، فمعلوماته مظهرة لعلمه، وعلمه مظهر لذاته بمعلوماته، غير هذا لا يصحّ أبداً، فمن رأى معلوماته فلم يره فهو أعمى، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: الآية 72].

وما أحسن قول العارف الكامل العالِم العامِل شرف الدين عمر بن الفارض قدّس الله تعالى سرّه:

تَـراهُ إنْ غـابَ عنّي كُلُّ جارِحَةٍ ... في كُلِّ معنى لطيفٍ رَائِقٍ بَهِجِ
في نَغْمَةِ العَوْدِ والنَّايِ الرَّخيمِ إذا ... تـألّـفـا بـيـنَ ألْـحـانٍ مِـنَ الـهَـزَجِ
وفي مَسَارحِ غِزْلانِ الخَمائِلِ في ... بَرْدِ الأصَائِلِ والإصْباحِ في البَلَجِ
وفي مَسَاقِطِ أنْداءِ الغَمَامِ على ... بِساطِ نُورٍ مِنَ الأزْهارِ مُنْتَسِجِ

وفي مَسَاحِبِ أذْيَالِ النَّسِيمِ إذا ... أهْدَى إلَيَّ سُحَيْرَاً أطْيَبَ الأرَجِ
وفي التَّنامي ثَغْرَ الكَأسِ مُرْتَشِفاً ... رَيْقَ المُدَامَةِ في مُسْتَنْزَهٍ فَرَجِ

فقد أخبر ـ قدّس الله سرّه ـ أن الحقّ تعالى من حيث ذاته غائب عنه، فهو تعالى لا يدرك ولا يترك، لأنه الحيّ القيُوم على كل ما سواه.

وأخبر أنه يراه في كل شيء، لأن ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 88].

وذكر من الأشياء المحسوسات بالحواسّ الخمس ما هو الحسن الجميل الذي هو مظهر الجمال، ولم يذكر ما هو مظهر الجلال، لأنَّ القلوب لا تنعشق إلّا بمظاهر الجمال الربّانيّ المكشوف للحواسّ الخمس بكل لطيف روحاني، ظاهرٍ في كثيف جسماني.

وهذه هي رؤية الحق تعالى عند المحقّقين من أهل العرفان، وكل شيء فانٍ، هذا الشاهد المفرد:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ... ليس في الكون أحد

(مُحْصِي) أي: هو ﷺ من الإحصاء وهو العلم الجامع.

قال في المصباح: «أحصيت الشيء: علمته، وأحصيته: أطقته».

فهو ﷺ محصي أي: عالم مطّلع على حضرة ربّه في مقام شهوده، لا يعتريه غفلة عنه إلّا في مقام التبليغ.

كما كان يقول ﷺ: **«إنّه لَيغانُ على قلبي وإنّي لأسْتَغْفِرُ الله في اليومِ واللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرّةً»**(1)، وهذا هو غين الأنوار لا غين الأغيار، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ [الشرح: الآية 7] أي: من تبليغ ما أنزل إليك من ربّك ﴿فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: الآيتان 7، 8].

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث رقم (2702) [4/ 2075] ورواه أبو داود في السنن، باب في الاستغفار، حديث رقم (1515) [2/ 84] ورواه غيرهما.

(**عَوَالِم**) جمع عالَم ـ بفتح اللام ـ سمّي بذلك لأنّ به يعلم الحقّ تعالى نفسه، ويعلّمه غيره به أيضاً، وشهوده لا يكون إلّا بالعوالم من جهة وجه الله تعالى لا جهة نفس العوالم.

(**الحَضَرَاتِ الإلٰهيَةِ**) جمع حضرة، وهي ما يحضر الحق تعالى به من عوالم الإمكان بحيث يغيب العبد عن شهود نفسه وغيره، ويحضر عنده ربّه متجلّياً بكلّ شيء.

(**الخَمْسِ**) صفة للحضرات، وأوّلها صفة وجوده، الجامعة لصفة حياته، وصفة علمه، وصفة إرادته، وصفة قدرته، وهي حقائق ربانيّة ليس لغيره تعالى على الحقيقة شيء منها غير مجرّد الظهور، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرّحمٰن: الآية 26]، فلا وجود لشيء وإنما هو حضرة ظهور الوجود القديم.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية 216]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المُلك: الآية 26] فعلم العبد مجرّد ظهور علم ربّه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر: الآية 30]، فلا حياة لغير الله تعالى وإنما هي ظهور حياة الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: الآية 30]، فمشيئة كل عبد هي مشيئة الله تعالى وهي إرادته ظهرت على عبده، قال تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ [البقرة: الآية 264]، وإنما هي قدرة الله تعالى حضرت بظهورها على عبده.

(**فِي وُجُودِهِ**) أي: كلّ ذلك حاضر في مجرّد وجود الله تعالى، لأنّ صفاته تعالى وأسماءه عين ذاته، المتوجهة على علمه بمعلوماته وخلق مخلوقاته، قال تعالى: (﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾) من الأشياء الهالكة إلّا وجه الله (﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾) ولهذا هو ﷺ محصي عوالم الحضرات الخمس في وجوده (﴿فِىٓ إِمَامٍ﴾) أي: مقتدًى

به ظاهراً وباطناً (﴿مُّبِينٍ﴾) [يس: الآية 12] أي يبيِّن للناس ما نزّل إليه من ربّه، فإنّ كتمان شيء من ذلك ممنوع عنه ﷺ.

قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: الآية 67]، والورثة المحمديُّون ممنوعون أيضاً عن الكتمان بعد ما أبان الله لهم الحقّ في القرآن.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ [البقرة: الآيتان 159، 160]، وإن كان المراد من الكتاب التوراة والمنهي عن أهلها، لكنّ الأصل عموم الحكم لا خصوص السبب.

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: الآية 179]، يا أولي الأبصار مما وقع لأهل الكتاب.

(وراحِم) أي: هو ﷺ نبيّ الرحمة الإلٰهيّة التي وسعت كل شيء.

(سَائِلِي) أي: سائلين، وحذفت النون للإضافة إلى[1].

(اسْتِعْدَادَاتِهَا) أي: استعدادات عوالم الحضرات، فإنّ الحضرات العلميّة القديمة لها ترتيب في حضرة العلم الإلٰهي القديم، هو استعدادها لظهورها.

وحقيقة الوجودية له ﷺ هي التي تعطي كلّ سائل ما استعد له من الأحوال من الظهور، ولهذا ورد: «أنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ مِنْ نُورِهِ كُلَّ شَيْءٍ»[2].

(بِنِدَاءِ وجُودِهِ) ﷺ، وهو وجود الحقّ تعالى القويم عليه به، أي: بكرمه الفيّاض، وهو منادي فيض القدس على كل نفس، قال تعالى عن أهل الإيمان، إنهم قالوا في الحضرة العلمية قولاً ظاهراً بهم في الحضرة الكونية:

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: الآية 193].

---

(1) إلى استعداداتها.

(2) هذا الحديث سبقت الإشارة إليه وهو حديث سيدنا جابر رضي الله عنه.

(﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾) [الأنبياء: الآية 107] يا محمّد لأمّتك.

(﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾) [الأنبياء: الآية 107] منّا.

(﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾) [الأنبياء: الآية 107] وهم عوالم الحضرات العلميّة ثم الكونيّة.

(نُقْطَةِ البِسْمِلَةِ) أي: هو ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: الآية 40]، والأمر واحد متوجّه على كل شيء، وهو وجه الله الذي ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88]، وهو كلمح البصر من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: الآية 50]، وهي اللمعة المحمدية، والنقطة الكونيّة، وهي نقطة الباء، بها تعرف الباء.

والباء حرف إلٰهيّ من الانحراف وهو التوجّه، والحروف كلها انحرافات إلٰهيّة بمعلومات كونيّة لها وجهان:

1 ـ وجه إلى الربّ.

2 ـ ووجه إلى العبد.

العبد معلوم ذلك عند أهله، والنقطة الكونيّة تحت الباء مميّزة لها، جامعة لأسرارها.

قال العارف الكامل أبو بكر الشبلي قدّس الله سرّه: «أنا نقطة الباء».

وقالوا: «إن القرآن كله مجموع في الفاتحة لأنها أمّ الكتاب، والفاتحة مجموعة في البسملة، والبسملة مجموعة في الباء، والباء مجموعة في النقطة»[1].

وذلك لأنه لولا النقطة ما عرفت الباء، ولولا الباء ما عرفت الأكوان، قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: الآية 166]، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ

(1) يرد في كتب السادة الصوفية على أنه حديث شريف بلفظ: «كل ما في القرآن في الفاتحة وكل ما في الفاتحة في البسملة وكل ما في البسملة في الباء، وكل ما في الباء في النقطة التي تحت الباء».

وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: الآية 105]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: الآية 85]، ولولا الأكوان ما عرف القرآن، ولولا القرآن ما عرف الله تعالى.

(الجَامِعَةِ) وصف للنقطة والبسملة.

(لِمَا يَكُونُ) أي: يظهر بوجود الحق تعالى من كل شيء.

(ولِمَا كانَ) أي ظهر بالوجود وبطن به.

(ونُقْطَةِ الأمْرِ) الواحد الإلٰهي، وهي نقطة البسملة إلّا أنها إذا بطنت فهي الأمر، وإذا ظهرت فهي الخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية 54].

(الجَوَّالَةِ) وصف لنقطة الأمر، صيغة مبالغة من الجولان، قال في المصباح:

«جال القوس في الميدان يجول جولة وجولاناً قطع جوانبه، والجول: الناحية، والجمع أجوال مثل قفل وأقفال».

فكان المعنى: قطع الأجوال ـ وهي النواحي ـ وجالوا في الحرب جولة جال بعضهم على بعض، وجال في البلاد طاف وغير مستقر فيها فهو جوال، فإن نقطة الأمر الإلٰهي لو وقفت لمحة لانعدم كل شيء وخرج عن الظهور وهي القوة الفردية الإلٰهية، قال تعالى: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: الآية 165].

وليست عرضاً بعرض كما تزعمه العقلاء، فإنهم يرون آثارها المختلفة التي تتغيّر وتتجدّد فيظنّونها هي القوّة الإلٰهيّة التي قال تعالى: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: الآية 165] وقولهم: «لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله»، وإنما هي قوله تعالى: ﴿كُن﴾ للشيء الهالك المعدوم ﴿فَيَكُونُ﴾ [البقرة: الآية 117] أي: يظهر الأمر بالتكوين عليه، والأمر متكرّر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ [القمر: الآية 50].

ثم شبّه ظهوره بالآثار المتغيّرة المتجدّدة بقوله: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾

[القمر: الآية 50]، وهو أمر الساعة الحاضرة عند من يشهدها من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: الآية 50] وهو أقربُ.

ولعارف الدين عفيف الدين الأندلسي سليمان من أبيات له قدّس سرّه:

ولولا انخرامُ الكلّ بالقوّة التي ... لإطلاقها في جمعهنَّ قيودُ

لما عُدِمَ الموجود يوماً ولا انقضتْ ... رسومٌ بأنواعِ البَلَا حدودُ

ولكنّها يأبى[1] النهاية وصفها ... فليسَ لها في الدور قطُّ جمودُ

ولو وقفتْ يوماً بحدٍ لنالها ... به عدمٌ هيهاتَ وهي وجودُ

(بِدَوَائِرِ) جمع دائرة من الدوران، قال في المصباح:

«دار حول البيت يدور دوراناً: طاف به، ودوران الفلك تواتر حركاته بعضها أثر بعض من غير ثبوت ولا استقرار».

(الأَكْوَانِ) جمع كون هو حصول الشيء، قال في المصباح: «كون الشيء هو حصوله، وكوّنَ الله الشيءَ فكان أي وجد، وكوّنَ الولدَ فَتَكَوَّنَ بمعنى صوّره، فالتكوُّن مطاوع التكوين».

وقال في القاموس: «الكون: الحدث كالكينونة، والكائنة: الحادثة، وكوّنه: أحدثه، والله: الأشياءَ أوجدها... والمصدر: الكون والكيان والكينونة».

فالأكوان دائرة لا ثبوت لها ولا استقرار، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ﴾ [الأنبياء: الآية 104] أي: مثل المبدأ الإعادة من تجلي المبدىء المعيد، وهو التجدُّد بالأمثال في جميع الأكوان.

قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ﴾ [ق: الآية 15] أي: التباس عليهم بسرعة الأمر الذي هو كلمح البصر ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يخلقهم الله تعالى فيه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [ق: الآية 15] لالتباس الأمر عليهم.

---

(1) وفي نسخة [تأتي] بدل [تأبى].

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: الآية 88] وهو الحال ينفخ في الصور فينكشف سرعة ظهورها بأمر الله تعالى، وأما اليوم فتحسبها جامدة لعدم انكشاف الأمر الإلٰهي لكل أحد.

(سِرّ) أي: هو ﷺ، قال في المصباح:

«السر: ما يكتم، وهي خلاف الإعلان، والجمع: أسرار».

(الهُوِيَّةِ) نسبة إلى قوله كنايةً عن الغائب، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ﴾ ثم فسّره بالخبر فقال: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية 1] إلى آخر السورة، وهو مقام الذات، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: الآية ١، وغيرها] أي: الغيب المطلق وهو القرآن.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ﴾ أي الله من حيث هو وراءهم غائب عنهم ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: الآيات 20 – 22]، وذلك جميع الأكوان من جهة وجه الله.

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88] وهو مقام الصفات الإلٰهية والأسماء الربانيّة، وهذا هو سرّ الهويّة وهو محمّد ﷺ المخلوق من نوره كلُّ شيء[1] ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: الآية 35].

(الّتي) وصف للهوية.

(في كُلِّ شيْءٍ) من الأشياء مطلقاً.

(سَارِيَةٌ) أي: محيط، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: الآية 126]، ولا حلول ولا اتحاد كما يتوهّمه أهل الجهل بالله من الغافلين عنه تعالى، المشغولين بأوهام الأغيار، المنكرين على أهل الإيمان الكامل والتوحيد الحقيقي، فإن الأشياء كلها عندهم هالكة فانية اعتقاداً جازماً عن كشف ويقين بكلام ربّ العزّة.

---

(1) سبقت الإشارة إلى الحديث الشريف الذي يشير إلى أن كل شيء مخلوق من نور النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: تشبيهه بالحوادث ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: الآية 7]، أي صرفه عن ظاهره الذي يليق بالله تعالى الحقّ القديم إلى معنى يخترعونه بعقولهم، وكيف يمكن عقلاً وشرعاً أن يحلّ الوجود الحق القديم في الحادث الفاني العديم أو يتّحد به.

(وعَنْ كُلِّ شَيءٍ مُجَرَّدَةٌ) أي منزّهة مقدّسة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11]، وذلك لأن الشيء الهالك الفاني لا يشبه الحقّ القديم الباقي ولا بوجهٍ من الوجوه.

(وعَارِيَةٌ) أي: خالية. قال في المصباح:

«عري الرجل من ثيابه يعري من باب تعِب عرياً وعرية فهو عارٍ وعريان، وامرأة عارية عريانة».

وقال في القاموس:

«العري بالضم خلاف اللبس، عري كرضي عرياً وعرية بضمها».

(أَمِينٍ) من الأمانة، قال في المصباح:

«أمن بالكسر أمانة فهو أمين، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازاً فقيل: الوديعة أمانة ونحوه، والجمع أمانات».

(الله)، لأنه تعالى آمنه فأودعه أسرار المُلك والملكوت.

(عَلَى خَزَائِنِ) جمع خزانة، قال في المصباح:

«الخزانة بالكسر مثل المخزون من خزنت الشيء خزناً من باب قتل جعلته في المخزون، وجمعه مخازن مثل مجلس ومجالس، وجمع الخزانة خزائن، وشيء خزين فعيل بمعنى مفعول، وخزنت السر كتمته».

وقال في القاموس:

«خزن المال أحرزه «كاختزنه، واللحم خزناً وخزوناً: تغير، كخزِن، كفَرِح وكرم، فهو خزين» وككتابة فعل الخازن ومكان الخزن.

والخزائن جمع الأشياء التي يخرج الله منها أشياء غيرها كانت مخزونة فيها من خير وشر، ونفع وضرّ.

(الفَوَاضِلِ) جمع فاضلة، أي: عين فاضلة من أعمال وأقوال واعتقادات مخزونة في صور إنسانية وغير إنسانية.

قال في المصباح:

«الفضيلة والفضل الخير وهو خلاف النقيصة والنقص».

وقال في القاموس:

«الفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل، والاسم الفاضلة... والفواضل الأيادي الجسيمة أو الجميلة، وفواضل المال ما يأتيك من غلته ومرافقه».

فإن العوالم كلها خزائن يخزن الله تعالى منها ما أودعه فيها على يد الآدميين على أسرارها المكنونة المخزونة فيها، والكل في خزانة قلبه ﷺ، لأن ذلك كله من نوره[1] الذي هو من نور الله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النّور: الآية 35].

(ومُسْتَوْدَعِهَا) ـ بصيغة اسم المفعول ـ معطوف على خزائن، المستودَع ـ بفتح الدال ـ الذي وضعت الوديعة عنده، والضمير للفواضل.

قال في المصباح:

«استودعته مالاً دفعته له وديعة يحفظه».

وقال في القاموس:

«استودعته وديعة استحفظته إياها، والمستودع في شعر العباس المكان الذي جعل فيه آدم وحواء من الجنة أو الرحم».

(ومُقَسِّمِهَا) معطوف على مستودعها، والضمير للفواضل، ومقسمها بصيغة اسم الفاعل مخفّفاً ومشدّداً للمبالغة في التقسيم، قال في المصباح:

---

(1) سبقت الإشارة إلى ذلك كما هو مبين في حديث جابر.

«قسمته قسماً من باب ضرب فرزته أجزاء فانقسم، والموضع المقسم مثل مسجد، والفاعل قاسم، وقسّام مبالغة».

ويصحّ هنا أن يكون مَقسَمِهَا اسم مكان القسمة الإلٰهيّة، لأنه ﷺ قال ما معناه: «**إن الله تعالى هو الرّزاق وأنا القَاسِمُ**»، فهو فاعل القسمة مجازاً، وهو موضع القسمة، والله القاسم حقيقةً.

(**على حَسَبِ**) أي: مقدار عمل، قال في المصباح:

«يقال: يجزي المرء على حسب عمله، أي: على مقداره، والحَسَب بفتحتين المثل».

وقال في القاموس: «حسب محركة، ومنه: وهذا بحسب ذا، أي: بعدده وقدره، وقد يسكن».

(**القَوَابِلِ**) جمع قابل وهو المستعد لما يظهر منه من أنواع الكمال والنقص.

(**ومُوَزِّعِهَا**) بصيغة اسم الفاعل مشدّداً معطوف على مقسمها، والضميران «في موزعها ومقسمها» للفواصل، والتوزيع بمعنى التقسيم.

قال في المصباح: «وزعت المال توزيعاً قسمته أقساماً وتوزعناه قسمناه».

وهو ﷺ كما ذكر عنه، لأنه سرّ الهويّة الإلٰهيّة الغيبيّة، فلا يعلم ما هو إلّا هو.

(**كَلِمَةِ الاِسْمِ**) الإلٰهي.

(**الأَعْظَمِ**) الذي ما دعي الله تعالى به إلّا أجاب الدعاء ممن عرفه، وأضاف كلمة إلى الاسم، فالاسم عين المسمّى، والمسمى الهو وهو غيب، والنبي ﷺ ما هو الغيب، وإنما كلمة الغيب الحق.

كما قال تعالى عن عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: الآية 171] فإنّ الهو غيب الهويّة.

(وفاتِحَةِ) أي الذي فتح به عالم الأكوان، قال في القاموس: فاتحة الشيء أوله.

(الْكَنْزِ) الأمر المختفي في صور الكائنات الفانية العديمة، قال في المصباح:

«كنزت المال كنزاً ـ من باب ضرب ـ جمعته وادّخرته، والكنز: المال المدفون تسمية بالمصدر، والجمع كنوز مثل فلس وفلوس».

فقد ورد في الحديث القدسي: **«كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً فأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ خَلْقاً تَعَرَّفْتُ إليهم، فَبِي عَرَفُونِي»**[1].

وقوله: **«فبي»** من حيث عدد الجمل بالحساب اثنان وتسعون، وعدد حساب محمد اثنان وتسعون، فإنَّ الميمَيْن ثمانون، كل ميم أربعون، والحاء ثمانية، والدال أربعة، أي: عرفوه به من حيث هو كنز مخفي في عوالم الإمكان، وعلى هذا لقوله تعالى في هذا الحديث القدسي الظاهر على لسان النبي ﷺ: **«وبي عرفوني»** معناه: فبمحمد ﷺ عرفوني، فبحقيقته وشريعته عرفوني لا بواحدٍ منهما، ولا بقولهم وكلام نفوسهم عرفوني، فَعِلْمُ الكلام ضلال كله والسلام.

(المُطَلْسَمِ) من الطلمس، كلمة عجمية تستعملها العرب بمعنى الخفاء والكتم، وطلسم مقلوب حروفه مسلط، والمسلط الرصد، فإنّ هذا الكنز الإلٰهي واجب، مخفي بأستار الإمكان، مرصود بالمهالك الرديئة.

قال في المصباح:

«الرصد الطريق، والجمع أرصاد مثل سبب وأسباب، ورصدته رصداً ـ من باب قتل ـ قعدت له على الطريق، والفاعل راصد، وربما جمع على رصد مثل خادم وخدم، والرصدي ـ نسبة إلى الرصد ـ وهو الذي يقعد على الطريق

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2016) [2/ 173].

ينتظر الناس ليأخذ شيئاً من أموالهم ظلماً وعدواناً، وقعد فلان بالمرصد ـ وزان جعفر ـ وبالمرصاد ـ بالكسر ـ وبالمرتصد أي: بطريق الارتقاب والانتظار: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: الآية 14]، أي مراقبك».

فلا يخفى عليه شيء من أفعالك ولا تفوته، فكأن هذه الكلمة الأعجمية التي هي الطلسم في هذا المعنى رصد على هذا الكنز، فلا ينفكّ إلا بمتابعة الشريعة والحقيقة وإطاعة الرسول وإطاعة الربّ تعالى.

(**المَظْهَرِ**) أي: موضع الظهور، والذي به الظهور الإلٰهي لنفسه ولغيره.

(**الأَتَمّ**) أي: الذي لا أكمل منه في التجلّي الرباني.

(**الجَامِعِ**) بصورته الجسمانية والنفسانية.

(**بَيْنَ العُبُودِيَّةِ**) لله تعالى بالطاعات والاستسلام لأمره ونهيه، وبالروحانية الأمرية للغيب المطلق.

(**و**) وجه (**الرُّبُوبِيَّةِ**) من قوله تعالى بالفناء والبقاء: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 88].

(**والنَّشْأَةِ**) بضم النون الاسم، وبالفتح المصدر، قال في المصباح:

«نشأ الشيء نشأ ـ مهموز من باب فتح ـ حدث وتجدد، وأنشأته أحدثته، والاسم النشأة والنشاءة وزان ثمرة وسلامة، ونشأت في بني فلان ربيت فيهم، والاسم النشوء مثل قفل».

(**الأَعَمّ**) وصف للنّشأة لأنّ مِنْ نشأته ﷺ أنشأ الله كُل شيء[1].

(**الشَّامِلِ**) بما أودع الله تعالى في حقيقته النورانيَّة المخلوقة من نور الله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ﴾ تعالى ﴿لِنُورِهِ﴾ بنوره ﴿مَن يَشَاءُ﴾ [النور: الآية 35].

(**لِلإِمكانِيَّةِ**) من الحضرات الكونية الحادثة.

---

(1) سبقت الإشارة إلى دليل هذا المعنى.

(والحَضَرَاتِ الوُجُودِيَةِ) الإلٰهيَّة الربانيَّة بسبب ظهور الروح الذي هو من أمر الله تعالى القديم.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: الآية 85].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْۚ﴾ [الطلاق: الآية 5] يعني بإنزاله الروح التي من أمره في نشأة الإنسانية كاملة بالشهود وناقصة بالغفلة، ولهذا قال تعالى لنبيه الذي ناشىء مثل نشوئهم إنساناً كاملاً ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾ [الكهف: الآية 110].

(الطَّوْدِ) هو الجبل أو الجبل العظيم، وجمعه أطواد، ذكره في القاموس، فإنه ﷺ لا أعظم منه في خلق الله تعالى.

(الأشَمّ) المرتفع على كل شيء، قال في المصباح:

«الشمم المرتفع الأنف، ارتفاع الأنف، وهو مصدر من تعب، فالرجل أشمّ والمرأة شماء مثل أحمر وحمراء».

(الَّذِي) من حيث هو جبل.

(لَمْ يُزَحْزِحْهُ) أي: يباعده وينحّيه، قال في المصباح:

«زحزحه فتزحزح أي: باعده فتباعد، وتزحزح عن مجلسه تنحّى».

(تَجَلّى) أي: انكشاف أنواع من الظهور الربّانيّ على القلب الإنساني.

(عَنْ مَقَام) هو ما رسخت فيه بصيرة العبد، والحال ما يعوّض ويزول.

(التَّمَكُّنِ)(1) أي: الرسوخ بالبصيرة الكاشفة عن الغيب المطلق في أعيان الكائنات، قال في المصباح:

«مكُن فلان عند السلطان مكانة وزان ضخم ضخامة عظم عنده وارتفع فهو مكين، ومكّنته من الشيء تمكيناً جعلت له عليه سلطاناً وقدرةً فتمكّن منه، واستمكن منه قدر عليه، وله مكنة أي قوّة وشدّة».

(والبَحْرِ) أي: الممتلىء علوماً إلٰهيّة وأسراراً ربانيّة.

---

(1) وفي نسخة ورد كلمة [التمكين] بدل كلمة [التمكن].

(الخِضَمّ) مشدّد الميم، أي: المحيط الواسع.

(الَّذِي لَمْ تُعَكِّرْهُ) أي: تكدّره، قال في المصباح:

«عكر الشيء عكراً فهو عكر من باب تعب تكدّر، وأعكرته وعكّرته بالهمزة والتضعيف جعلته كذلك».

(جِيَفُ) جمع جيفة، قال في المصباح:

«الجيفة الميتة من الدوابّ والمواشي إذا أنتنت، والجمع جيف مثل سدرة وسدر، سمّيت بذلك لتغيّر ما في جوفها».

(الغَفَلاتِ) جمع غفلة، قال في المصباح:

«الغفلة غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له».

وكنّى بجيفة الغفلات عن المشركين والكافرين والمنافقين الذين هم أموات القلوب، وقد أنتنت أجسادهم وفاحت من أفواههم روائح نجاسات قلوبهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: الآية 28].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [النحل: الآية 108]، فكان ﷺ بحراً واسعاً ممتلئاً ماءً طهوراً مما تحصل به الطهارة، وهي العلوم الإلٰهيّة والمعارف الربّانيّة، وهذه الجيف المنتنة ملقاة فيه، لأنه كان حريصاً على هداهم وطهارتهم، ونجس العين لا يطّهر بالغسل حتى تستحيلَ عينه إلى حقيقة أخرى، وهو ﷺ «كان» حريصاً على هداهم، قال الله تعالى له: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [النحل: الآية 37]، وكان ﷺ لا يبالي بهم، ويضيق صدره بما يخرج من أفواههم، فيهتمّ بذلك أحياناً حتى قال له الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الحجر: الآية 97]، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: الآية 127]، حتى قال له: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: الآية 10].

(عَنْ صَفَاءِ اليَقِينِ) أي: التحقُّق بربّه وشهود التجلّي بكل شيء في حضرة قربه.

(القَلَمِ) الإلٰهي الذي في يد الله تعالى يكتب به في وجوده ما شاء، قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرّعد: الآية 39]، وكان يقول ﷺ: «**والّذي نَفْسِي بيدِهِ**»(1)، فكانت يده دائماً في يد الله تعالى.

(النُّورَانِيِّ) نسبةً إلى النور، لأنه مداد النور، وهو نور في يد النور، وكتابته كلها نور، وما جاء سواد الجهل والغفلة إلّا من النفوس البشريّة التي أفلتتْ يدَها من يد الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: الآية 10].

قال الشيخ الأكبر شيخنا محيي الدين ابن عربي ـ قدّس سرّه ـ من أبيات له:

قد جاءك النور فاقتبسه ... ولا تُعَرِّج على السواد
ومن أتاه النُّظار(2) يوماً ... يزهد في الخطّ بالمداد

(الجَارِي) ذلك القلم على صفحات الإمكان.

(بِمِدَادِ) أي: بما يحصّل المددَ، قال في المصباح:

«المداد ما يُكتب به، ومددت الدواة مدّاً من باب قتل، جعلت فيها المداد».

(الحُرُوفِ) جمع حرف وله معاني مختلفة والذي يناسب منها هنا الوجه، قال في المصباح:

«الحرف الوجه والطريق، ومنه نزل القرآن على سبعة أحرف».

ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88]،

---

(1) رواه البخاري في أبواب عدة منها باب وجوب صلاة الجماعة...، حديث رقم (618) [1/ 231] ورواه مسلم في صحيحه في أبواب عدة منها باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة...، حديث رقم (14) [1/ 44] ورواه غيرهما.

(2) وفي نسخة [النُّضار] بدل [النظار]. (انظر الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحمٰن: الآيتان 26،27] ويرون وجهه.

فالحروف **(العَالياتِ)** أي: المنزّهات المقدّسات عن الكونيّة المطهّرة لها، وكلها حرف واحد، وإنما كثر واختلف بتجلّي الإرادة الإلٰهيّة والمشيئة الربانية.

قال بعض العارفين(1) مشيراً إلى حضرة العلم القديم:

كنا حروفاً عاليات لم تقل — متعلقات في ذرى أعلى القلل
أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هو — والكل في هو هو فسل عمن وصل

(والنَّفَسِ) بفتح الفاء، أي: هو ﷺ النَّفَس بلام العهد الذكري في قوله ﷺ: «**إني لأجِدُ نَفَسَ الرَّحمٰنِ يأتيني مِنَ اليَمَنِ**»(2)، فهو ﷺ نفس الرحمٰن الذي نفّسَ الله تعالى به عن كروب الأكوان، فأخرجها به من ضيق عوالم الإمكان، إلى فضاء التجلّي الإلٰهي بكلمة الإذن الأمري: ﴿كُن﴾ [البَقَرَة: الآية 117] فكان.

(السَّارِي) من سار سيراً ومسيراً، ويكون بالليل والنهار، ويستعمل لازماً ومتعدّياً فيقال: سار البعير وسرته ذكره في المصباح، وقال أيضاً:

«سريت الليل وسريت به سيراً، والاسم السراية إذا قطعته بالمسير، وأسريت بالألف لغة حجازية، والسرية بضم السين وفتحها أخص، يقال: سرينا سُرية من الليل وسِرية، والجمع السَرى مثل: مدية ومدى. قال أبو زيد: ويكون السري أول الليل وأوسطه وآخره».

وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيهاً لها بالأجسام مجازاً واتّساعاً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الفَجر: الآية 4] والمعنى: إذا يمضي.

وقال البغوي: «إذا سار وذهب». وقال الفارابي: «سرى فيه السم

---

(1) هذا العارف هو الشاب الظريف محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، شمس الدين، ويقال له أيضاً ابن العفيف نسبة إلى أبيه العارف بالله تعالى الشيخ عفيف الدين التلمساني، ولد الشاب الظريف بالقاهرة سنة 661هـ وكان أبوه من مشايخ الصوفية فيها، توفي سنة 688 هـ. (انظر الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

(2) ورد بلفظ: «إني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن». أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (659) [1/ 251].

والخمر ونحوهما»، وقال السرقسطي: «سرى عرق السر في الإنسان»، وزاد ابن القطاع على ذلك: «وسرى عليه الهمّ: أتاه ليلاً، وسرى همّه: ذهب».

وإسناد الفعل إلى المعاني كثير في كلامهم نحو: طاف الخيال، وذهب الهمّ، وأخذه الكسل.

وهذا السريان هنا الإمداد الروحاني بالنور المحمدي، كما قال:

(**بِمَوادّ**) جمع مادة وهي الزيادة المتصلة، ذكره في القاموس.

(**الكَلِمَاتِ**) جمع كلمة، وهي الصورة المؤلفة من معاني إلٰهيّة يتوجّه بها الوجود الحق «بكن» فيكون، فتظهر بنور وجوده كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: الآية 35] الآية، ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: الآية 69] يوم الكشف.

(**التَّامَّاتِ**) وصف للكلمات، والتمام في الكلمات ظهور المتكلّم بها وكل كلمات الحق إنْ ظهر لها بها، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات: الآية 23]، فهي كلمات تامّات صادرات عن متكلّم حق، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: الآية 28]، وقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: الآية 21].

(**الفَيْضِ**) يقال: فاض السيل يفيض فيضاً كثر وسال من شفة الوادي، وأفاض بالألف لغة، وفاض الإناء فيضاً امتلأ، وأفاضه صاحبه ملأه، وفاض كلّ سائل جرى، وفاض الخير كثر، وأفاضه الله كثّره، وأفاض الناس من عرفات دفعوا منها، وكل دفعة إفاضة، ذكره في المصباح.

(**الأقْدَسِ**) أفعل تفضيل، أي: الأكثر تقديساً من المُقْدس، قال في المصباح:

«المُقْدَس - بضمتين وإسكان الثاني تخفيفاً - هو الطهر، والأرض المقدّسة المطهّرة، وتقدّس الله تنزّه وهو القدُّوس».

(**الذَّاتِيّ**) أي: المنسوب إلى ذات الحق تعالى.

(**الَّذِي تَعَيَّنَتْ بِهِ**) أي: بذلك الفيض المحمدي الجامع في عالم الغيب حيثُ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88].

(**الأَعْيانُ**) جمع عين، وهي المعلومات بالعلم الإلْهي قبل ظهورها في حضرة الإمكان بنور الوجود الحقّ تعالى.

(**و**)تعيّنت به أيضاً (**اسْتِعْدَادَاتُها**) للظهور بترتيبها الذي مترتّبة به من تقديمٍ وتأخيرٍ وزيادة بعضها على بعضٍ ونقصان بعضها على بعضٍ، والاستعدادات جمع استعدادة، فعل مرّة من الشيء لكذا تهيأ له، قال في المصباح: «العُدَّةُ بضمِّ الاستعداد والتأهُّب».

وقال في القاموس: «أعدّه هيّأه واستعدّ له».

(**والفَيْضِ المُقَدَّسِ**) بصيغة اسم مفعول، أي: المطهّر المنزّه عن مشابهة كل شيء.

(**الصِّفَاتِيّ**) نسبةً إلى الصفات، فإذا ظهرت بالآثار فهي الأسماء، فالحياة والعلم والإرادة والقدرة صفات، والحيّ والعالم والمريد والقادر أسماء، وكلّها لله تعالى، وهي قديمة أزلية أبدية، وأمّا فيضها الصفاتيّ والأسمائيّ والفيض الذاتي فهو حادث، وهو الحقيقة المحمديّة[1] القابضة بالنور الثاني من النور الأول على الآثار الكونية.

---

(1) الحقيقة المحمدية: يشيرون به إلى هذه الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق الشاملة لها، أي للحقائق والسارية بكليتها في كلها سريان الكلي في جزئياته، وإنما كانت الحقيقة المحمدية هي صورة لحقيقة الحقائق لأجل ثبوت الحقيقة المحمدية في حاق الوسطية والبرزخية والعدالة، بحيث لم يغلب عليه ﷺ حكم اسم أو صفة أصلاً كما عرفت ذلك عند الكلام على توبة الانتهاء، فكانت هذه البرزخية الوسطية هي عين النور الأحمدي المشار إليه بقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري**».
أي قدر على أصل الوضع اللغوي، فهو ﷺ أول ما خلق الله تعالى، وبهذا الاعتبار سمي ﷺ بنور الأنوار، وبأبي الأرواح، كما مر، ثم إنه ﷺ آخر كل كامل خلق الله، إذ لا يخلق الله بعده مثله في الكمال، كما قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ =

(**الَّذِي**) وصف للفيض المقدّس.

(**تَكَوَّنَتْ**) أي: ظهرت (**به**).

(**الأكْوَانُ**) أي: المكوّنات من إطلاق المصدر، وهو الكون على اسم المفعول.

(**وَاسْتِمْدَادَاتُها**) أي طلبها المدد منه تعالى، قال في القاموس:

«الاستمداد: طلب المدد».

أو إشراق لنور وجوده عليها، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: الآية 20] أي: ممنوعاً من أحد أصلاً.

(**مَطْلَعِ**) بفتح اللام وكسرها مصدر ميمي، قال في المصباح:

«طلعت الشمس طلوعاً من باب قعد ومطلعاً بفتح اللام وكسرها، وكل ما بدا لك من علوٍ فقد طلع عليك».

(**شُمُوسِ الذَّاتِ**) الإلهيّة، أي: طلوع نورها.

(**فِي سَمَاءِ الأسْمَاءِ والصِّفَاتِ**) الإلٰهية، فهو ﷺ طلوع ذلك لا هو الطالع.

(**ومَنْبَعِ**) أي: موضع نبع، قال في المصباح:

«نبع الماء نبوعاً من باب قعد ونبع نبعاً من باب نفع لغةً خرج من العين، وقيل: العين ينبوع، والجمع ينابيع، والمنبع بفتح الميم والباء مخرج الماء، والجمع منابع».

(**نُورِ**) لأنه ﷺ نور مخلوق من نور فائضٍ بالنور، والكلّ نور، وإنما

= [الأحزاب: الآية 40] والإشارة منه ﷺ إلى أوليته بمعنى نوره، وآخريته بمعنى ظهوره هو قوله ﷺ: «**نحن الأولون والآخرون**» [130]، وهذه الحقيقة الكلية هي أصل جميع الأسماء الإلهية المضاف إليها الربوبية، ومعنى كون هذه الحقيقة هي الحقيقة المحمدية، أي أن الصورة العنصرية المحمدية صورة لمعنى، ولحقيقة ذلك المعنى وتلك الحقيقة هي حقيقة الحقائق، فافهم. (لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، مطبوع في الدار بتحقيقنا).

الظلمات من التكذيب والجحود والإشراك بالله والمعاصي والمخالفات، وكل ذلك من الجهل بالله وضعف القلوب والأبصار والبصائر.

(الإفاضاتِ) كُلّها: الإفاضة الذاتيّة، والإفاضة الصفاتيّة، والأسمائيّة.

(في رياضِ) جمع روضة.

قال في المصباح:

الروضة: الموضع المعجب بالزهور، وجمع الروض رياض وروضات بسكون الواو والتخفيف، وهذيل بفتح على القياس.

ولما أطلق عليه ﷺ أنه منبع، ناسب أن يقال في رياض كناية عن الأكوان المحكمة البديعة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السّجدَة: الآية 7].

(النِّسَبِ) جمع نسبة ـ بالكسر ـ مثل سدرة وسدر، وقد تضم فيجمع مثل غرفة وغرف، وينسب الشيء إلى ما يوضّح ويميّز من أب وأم وقبيلة وبلد وصناعة وغير ذلك، ذكره في المصباح، فإن كلّ نسبة إلى شيء نسبة إلٰهيّة إلى الخالق الربّ سواء عرف ذلك أو لم يعرف، فالنسب كلها إلٰهيّة، وهي مختلفة كما قلنا من أبيات:

لنا صبغ الإرادة طبق ما   في الأرض يظهر والسما

وقال تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾ [البَقَرَة: الآية 138].

(والإضافاتِ) جمع إضافة، وهي ضمّ الشيء إلى غيره، قال في المصباح:

«أضافه إلى الشيء إضافة ضمّه إليه وأماله».

والحاصل أنّ جميع الكائنات ما هي كائنة إلّا بالنسبة إلى النور المحمدي الكائن بالنسبة إلى نور الله تعالى، ولا هي متحققة إلّا بالإضافة إلى ذلك، ولهذا أطلق النسب والإضافات لقصد العموم في الكائنات.

(**خَطّ**) أي: كتابة، يقال: خطّ الرجل الكتاب بيده خطّاً من باب قتل كتبه، وخطّ على الأرض خطّاً أعلم علامة، ذكره في المصباح.

(**الوَحْدَةِ**) الإلٰهيَّة الذاتية، أي: هو ﷺ كتابته النور الرباني في نفسه كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: الآية 54] وقال تعالى عنه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية 107].

(**بَينَ قَوْسَي**) تثنية قوس، والقوس إذا شدّه رمى بالسهم «و» صار نصف دائرة، والقوس الآخر كذلك في العلم الإلٰهي، وهذا ظلّ ذاك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: الآية 45].

وفي الحديث: «**سبعةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ**»[1] هو يوم الكشف عند العارفين، وهو التجلّي الذاتيّ الوجوديّ بصفات ربّ العالمين، فهي دائرة.

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية 104].

(**الأحَدِيَّةِ**) وهي حضرة الذات العليّة، فإنّ الأحد لا يمكن أن يكون إلّا واحداً، ولهذا صحّ الخبر به عن الاسم الواحد الجامع لجميع الأسماء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي الغيب المطلق هو ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية 1] الواحد، أي الاسم الجامع لجميع الأسماء أحدي واحد، لا يمكن أن يكون إلّا واحداً، بخلاف الاسم الجامع لجميع الأسماء فإنه واحد، فلو قيل: قل هو الله واحد لما أفاد، لأن الواحد واحد.

(**وَ**) قَوْسَي (**الوَاحِدِيَّةِ**) هي حضرة الأسماء.

فالقوس الأول: حضرة الذات، وهي الحقيقة العليّة.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة...، حديث رقم (629) [1/ 234] ورواه مسلم في صحيحه، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم (1031) [2/ 715] ورواه غيرهما.

قال الشيخ الأكبر ـ قدّس سرّه ـ في بعض رسائله:

«إنَّه تعالى عَلِمَ نَفْسَهُ، فَعَلِمَ العَالَمَ كُلَّهُ».

والقوس الثاني: حضرة الصفات والأسماء الإلٰهيّة.

وهذا القوس «من القوس» الأول، والسهام من توتره في القوسين لإصابة الأغراض الكونية، وتلك السهام هي أفعال العباد من خير وشر ونفع وضرّ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: الآية 45].

وقال الشيخ الأكبر ـ قدّس سرّه ـ في هذا المعنى:

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة

كل من يعرف هذا حاز أسرار الطريقة

يعني من عرف فناء الكون في تجلّي نور الوجود الحق فقد حاز أسرار الطريقة المحمدية وتحقق بعلوم الأنبياء والأولياء، ومن لم يعرف الفناء في طريقتهم فهو محدث حدثاً أكبر وعليه جنابة الأغيار، لا يرفعها عنه إلّا طهارة الفناء والاضمحلال كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

إن الفناء طهارة الإنسان لصلاة معرفة القريب الداني

(ووَاسِطَةِ) أي وسيلة الأمر لقصد الخبر.

قال في صحيح الجوهري: «واسطة القلادة: الجوهرة التي في وسطها وهو أجودها».

(التَّنَزُّلِ الإلٰهِيّ) أي: الظهور الربّانيّ إلى أعيان الكون الروحانيّ والجسمانيّ.

(مِنْ سَمَاءِ) أي: ما ارتفع من الغيب المطلق عن العقول والحواسّ.

(الأَزَلِيَّةِ) مضاف إلى سماء بتقدير الحضرة الأزلية المنسوبة إلى الأزل.

قال في القاموس: «الأزل... وبالتحريك: القدم، وهو أزليّ، وأصله

يزلي منسوب إلى لم يزل، أبدلت الياء ألفاً للخفّة كما قالوا في الرمح المنسوب إلى ذي يزن أذني».

(إلى الأرْضِ) وهي ما سفل من مدركات العقول والحواسّ.

(الأبديّةِ) وصف للأرض المذكورة نسبةً إلى الأبد وهو الدهر، ويقال: الدهر الطويل الذي ليس بمحدود، ذكره في المصباح.

فالأزل له تعالى، لا يشاركه فيه شيء، والأبد للعوالم الكونية الإنسانية وما يتبعها من الأكوان، والكلّ راجع إليه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: الآية 70]، ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: الآية 18].

وفي الحديث: «**أنّ الله هو الدّهْرُ**»[1]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: الآية 3].

(النّسْخَةِ) مِنْ نَسَخَ، قال في المصباح:

«نسخت الكتاب نسخاً من باب نفع نقلته وأنسخته، كذلك قال ابن فارس، وكلُ شيء خلق شيئاً فقد أنسخه، يقال: أنسخت الشمسُ الظلّ والشيبُ الشبابَ أي أزاله، والكتاب منسوخ ومنتسخ منقول، والنسخة الكتاب المنقول، والجمع نسخ مثل غرفة وغرف».

فهو ﷺ نسخة منقولة من كتب الحق تعالى كالظلّ نسخة من الشجرة المتوجّه عليها نور الشمس.

فالظلّ هو النسخة **(الصُغْرَى)** المنقولة من حضرة علم الله تعالى بنفسه أزلاً كما قال تعالى له: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: الآية 45]، ومدّه إظهار ما فيه من أعيان الممكنات.

---

(1) ورد بلفظ: قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار»، رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الأخبار عن السبب الذي من أجله قال ﷺ: «إن الله هو الدهر».

(الّتي) وصف للنسخة.

(تَفَرَّعَتْ) أي: ظهرت.

(عَنْهَا) فروع النسخة.

(الكُبْرَى) التي هي حقائق الكائنات المحاط بها في العلم الإلهي القديم، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: الآية 10].

(وَالدُّرَّةُ) بالضم اللؤلؤة الكبيرة، والجمع درّ ـ بحذف الهاء ـ ودرر مثل غرفة وغرف، ذكره في المصباح، وقال في القاموس:

«الدرة: اللؤلؤة العظيمة وجمعها در ودرر ودرات».

(البَيْضاءُ) أي الصافيَة النقيّة كناية عن النور المحمديّ الذي هو أوّل مخلوق من نور الله تعالى كما ورد في الحديث الذي رواه جابر رضي الله عنه قال ﷺ: «**أوّلُ ما خَلَقَ الله نُورُ نَبِيّك يا جابِرُ**»[1] إلى آخره.

(الّتي) وصف الدرة.

(تَنَزَّلَتْ) بأن ظهرت نازلة.

(إلى اليَاقُوتَةِ) الواحد من الياقوت، فقال الجوهري في الصحاح:

«الياقوت: يقال فارسي معرب وهو فاعول، الواحد ياقوتة والجمع اليواقيت».

وقال في القاموس:

«الياقوت من الجواهر معروف معرب أجوده الأحمر الرماني».

(الحَمْرَاءِ) وصف للياقوتة، والحمرة من الألوان معروفة، والذَّكر أحمر، والأنثى حمراء، والجمع حمر، وهذا إذا أريد به المصبوغ.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

فإن أريد بالأحمر ذو الحمر جمع على الأحامر، لأنه اسم لا وصف له، واحمرّ البأس اشتدّ، واحمرّ الشيء صار أحمر، وحمّرته بالتشديد صبّغته بالحمرة، ذكره في المصباح.

وقال في القاموس:

«الموت الأحمر: القتل أو الموت الشديد، وقولهم الحسن الأحمر أي: يلقى العاشق منه ما يلقى من الحرب».

ولنا في مطلع قصيدة في ديوان الغزل لنا:

تذكّرني خدّيه والخدّ أحمر ... لظى مهجتي والشيء بالشيء يذكر

وكنّى هنا بالياقوتة الحمراء عن صورة عالم الأكوان المختلفة الطبائع والألوان والمذاهب والأديان، فإنها كلها مخلوقة من نور حقيقته ﷺ، وإنما صبّغتْها بالحمرة مقاصدُ القلوب والنيّات، فغيّرتْ بياضَ درتها أعمالُ البريّات، ومن صفى فقد وفى، وزال عنه الخفاء.

(**جَوْهَرِ**) هو كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به، ومن الشيء ما وضعت عليه جبلته، ذكره في القاموس.

كنّى به عمّا وضعت عليه جبلة النبي ﷺ، ومالت إليه طبيعته من نفع الأمة والحرص على هدايتهم، حتى قال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٣٧﴾ [النحل: الآية 37].

وقال الله تعالى له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القصص: الآية 56].

(**الحَوَادِثِ**) جمع حادث من الحدوث.

قال في القاموس:

«حَدَثَ حدوثاً وحداثة نقيض قَدُمَ، وتضمّ داله إذا ذُكِرَ مع قَدُم».

وقال في المصباح:

«حدث الشيء حدوثاً من باب قعد تجدد وجوده فهو حادث وحديث».

وقال الجوهري في الصحاح:

«الحديث نقيض القديم، يقال: أخذني ما قدم وما حدث لا يضم حدث في شيء من الكلام إلاّ في هذا الموضع وذلك لمكان قدم على الازدواج».

(الإمْكَانِيَّةِ) وصف للحوادث، **(لا تَخْلُو)** أي: لا تفرغ دائماً وهي الأجسام، فتخليق الله تعالى وترزيقه وإحياؤه وإماتته قديمات أزليات، والعوالم كلها ثوابت بأمر الله تعالى لا موجودات، وإنما الوجود وحده لله تعالى وحده، لا شريك له فيه أزلاً وأبداً، وسيأتي لهذا زيادة بيان، (عن الحركة والسكون، ومادة الكلمة الفهوانية الطالعة من كنه كن إلى شهادة فيكون).

(هيولى) أي: مادة أصلية لإظهار العوالم كلها، قال في القاموس:

«الهيولى وتشدّد الياء مضمومة عن ابن القطاع: القطن، وشبه الأوائل طينة العوالم بالهيولى أو هو في اصطلاحهم موصوف بما يصف به أهل التوحيد الله تعالى أنه موجود بلا كمية ولا كيفية، ولم يقترن به شيء من سمات الحدث ثم حلت به الصنعة، واعترضت به الأعراض فحدث منه العالم».

وهذا كله حدث في عقول الكافرين بأنبياء الله تعالى المرسلين لتعريف العقلاء بربّهم، فقنع الكافرون بعقولهم، وإدراكاتها المختلفة، وكذّبوا أنبياءهم، فضلّوا وأضلّوا، وذلك لأن الأنبياء عليهم السلام جاؤوا يخبرون الأمم بعلوم

إلٰهية أوحى الله تعالى بها إليهم لا تدركها العقول، فمن صدّقهم وآمن بهم وبما جاؤوا به تحقّق بالله تعالى، وعرف ما هو الحق المبين بسبب المتابعة والاقتداء، ومن كذّب وتولّى ضلّ وطغى، في القرآن غنية عن كل ذلك، وهو: ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: الآية 88]، وهذه حكمة إرسال الرُّسل وإنزال الكتب والصحف.

فلو كان العقل في كل مكلّف من بني آدم والجنّ كائناً في معرفة الله تعالى الصانع الحق وتوحيده كان إرسال الرُّسل وإنزال الكتب والصحف أمراً عبثاً، والأمر العبث نقص في حق الصانع الحق القديم، وهو محال عليه، لأنه نقص من المخلوق فكيف لا يكون من الخالق، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: الآية 115].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٧ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [الأنبياء: الآيات 16 - 18] يعني باتّباع عقولكم وإعراضكم عمّا جاءت به الأنبياء والرُّسل من جهتنا.

(الصُّوَرِ) جمع صورة، قال في المصباح:

«الصورة التمثال، وجمعها صور مثل غرفة وغرف، وتصوّرت الشيء مثّلت صورته وشكله في الذهن فتصوّر هو.

وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة كقولهم صورة الأمر كذا أي: صفته».

يعني أن الحقيقة المحمدية وهي النور المخلوق من نور الله تعالى، وهي حضرة علمه القديم المحيط بكل شيء عديم، لا عين العلم القديم بل حضرته وظهوره، إنما ذلك هيولى الصور الحسيّة والصور المعنوية العقلية.

والله تعالى لم يخلق إلّا صور في الحسّ وفي العقل كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: الآية 24].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: الآية 6].

وقال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: الآية 64].

وقال تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: الآية 8].

(الّتي) وصف لهيولى الصور **(لا تَتَجلّى)** أي: لا تظهر ولا تنكشف.

قال في المصباح:

«جلى الخبر للناس جلاءً بالفتح والمدّ وضح وانكشف فهو جليّ، وجلوته أوضحته، يتعدّى ولا يتعدّى».

وقال في القاموس: «الجليُّ كَغَنِيّ الواضح، وجلى فلان الأمر كشفه عنه كجلاه وجلاه عنه، وقد انجلى وتجلّى».

(بأحَدٍ) من الناس وغيرهم.

(إلاَّ مَرَّةً) وواحدة في كل طرفة عين، وهو أمر الله تعالى الذي قال تعالى عنه: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: الآية 5]، والخلق هو صور الأمر، فلا يظهر الأمر الإلهي إلّا بصور الخلق.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: الآية 47] أي متصوّر بصور الخلق.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: الآية 38].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية 54]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: الآية 50]، ومن أسمائه تعالى الواسع الذي وسع كل شيء.

وقال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: الآية 89]، وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: الآية 166].

وهذه الشهادة واحدة، وهي شهادة التوحيد في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: الآيتان 18، 19].

وحكم الخلق كلهم إليه تعالى، أنفسهم وأرواحهم وأجسامهم ظاهراً وباطناً مطابقة لما هم عليه في نفس الأمر من تجلّيه بهم في كل طرفة عين، فيشهدون حينئذ بشهادته وشهادة الملائكة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: الآية 6].

(لا تتجلّى بأحد في عمره مرّتين اثْنَتَين) دنيا وبرزخاً وآخرةً إلى الأبد الوسع الإلٰهي الذي لا حدّ له ولا فوقَ ولا تغيّر عما هو عليه أزلاً وأبداً.

و**(لا)** تتجلّى **(بِصُورةٍ منها)** أي: عن تلك الصور **(لأحَدٍ)** من آحاد علمه الواسع القديم **(مرّتينِ)** أي تجليّين، فلا تكرار وإن التبس الأمرعلى العارف، كما قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق: الآية 15].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: الآية 9].

(قُرآن) مقام، **(الجَمع)** الذي قال تعالى في شأنه: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: الآيات 20-22]، وإليه الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: الآية 10].

وهذا كله مبنيّ عند العارفين من أهل الله تعالى ـ الذين هم أهل القرآن

وخاصته ـ على التحقيق بالفناء[1] في أنفسهم وفي جملة المخلوقات كلهم دنيا وبرزخاً وآخرةً من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88]، وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: الآيتان 26، 27] من غير تأويل ولا تحريف للكلام الإلهي، لأن أهل التأويل في قلوبهم زيغ كما قال تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: الآية 1]، وقال مرّة: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: الآيتان 193، 194].

ثم قال تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: الآية 7] يدعون مشاركتهم مع الله تعالى في الوجود، بأنّ لهم وجود كما أنّ الله تعالى له وجود ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: الآية 7] وبالحمل على المفهوم العقلي ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: الآية 7] بتحريفه وتغييره إلى معاني أخرى عقليّة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ [آل عمران: الآية 7] المطابق لما هو عليه ﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: الآية 7] الإلٰهي كالأنبياء والأولياء الورثة ﴿يَقُولُونَ﴾ [آل عمران: الآية 7] حال من الراسخين أي القائلين ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: الآية 7] كما علّمنا الله تعالى حيث قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمٰن: الآيتان 1، 2].

---

(1) الفناء: بزوال الرسوم جميعاً بالكلية في عين الذات الأحدية مع ارتفاع الإثنينية وهو مقام المحبوبية.
وصورته في البدايات: الفناء عن العادات والمألوفات بامتثال المأمورات.
وفي الأبواب: الفناء عن الهيئات الطبيعية النفسانية بالهيئات النورانية القلبية.
وفي المعاملات: الفناء عن الأفعال البشرية بالأفعال الإلٰهية.
وفي الأخلاق: الفناء عن الملكات النفسانية بالأخلاق الإلٰهية.
وفي الأصول: الفناء عن إرادة الأغيار وطلبها، بإرادة الحق وطلبه.
وفي الأودية: الفناء عن العلوم الرسمية، والحكم الفعلية، بالعلوم اللدنية والحكم الإلٰهية.
وفي الأحوال: الفناء من التعلق بالأكوان ومحبتها، بمحبة الرحمٰن.
وفي الولايات: الفناء عن الصفات والتوجه نحو الذات.
وفي الحقائق: الفناء عن الرسوم مع بقاء البقية الخفية، وعدم الشعور بالآنية النورية الموجبة للإثنينية وهو مقام الخلة.

ثم قالوا: ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: الآية 7] فيؤمن به على الغيب عنه منسوباً عندهم إلى مشايخهم الراسخين في العلم ﴿إِلَّآ أُوْلُوا۟﴾ أي أصحاب ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: الآية 7]، أي العقول المهتدي بصفاء القلوب من المريدين الصادقين في طريق الله تعالى.

(الشَّامِلِ) ذلك القرآن **(لِلْمُمْتَنِعِ)** عقلاً وشرعاً، كالشريك لله تعالى والصاحبة والولد.

(والعَدِيم) أي: المعدوم وهي المخلوقات، فإنها كلها ثابتة في عالم الإمكان، مقدّرة غير موجودة إلّا بطريق الأوهام العقلية عند الغافلين عن الله تعالى المتجلّي الحق «أنْ» يطّلعوا بعقلهم، وهو ظاهر لحواسّهم الخمسة، ملتبس عليهم بالأعيان الثابتة من الأكوان.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: الآية 101].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام: الآية 3].

والغافلون من العقلاء يتوهّمون الحلول والاتّحاد في مثل هذه الآيات، لدعوتهم الوجود للكائنات الثابتة بالتقدير، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: الآية 2]، والشيء المقدر ثابت لا منفيّ، ولكن لا وجود له، والوجود كله لله تعالى.

قال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ﴾ [إبراهيم: الآية 27] وهم الذين يدعون الوجود لأنفسهم ولغيرهم مع الله تعالى، وما ثمّ إلّا وجود واحد، وهو وجود الله تعالى خاصة، فيدعونه لأنفسهم ولغيرهم ظلماً منهم، ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: الآية 27] بهم وهم لا يشعرون.

(وفُرْقَانِ) مصدر، فرق بينهما فرقاً وفرقاناً فعل، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: الآية 4] أي: يقضي ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الإسراء: الآية 106] فصلناه وأحكمناه، ذكره في القاموس.

وقال في المصباح:

«فرّقت بين الشيئين فرقاً من باب قتل فصّلت أبعاضه، وفرّقت بين الحق والباطل فصّلت أيضاً، هذه هي اللغة العالية، وبها قرأ السبع في قوله تعالى: ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: الآية 25]، وفي لغة من باب ضرب، وقرأ بها بعض التابعين».

(الفَرْقِ) المقابل للجمع، وهو شهود الوحدة كثرة، والواحد كثيراً، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: الآية 1] أي: الكثرة، والجمع شهود الكثرة وحدة والكثير واحداً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: الآية 1].

(الفاصِلِ) وصف للفرق، قال تعالى: ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: الآية 12].

(بَيْنَ الحادِثِ) الذي لم يكن ثمّ كان من جميع الأشياء. **(والقدِيم)** وهو الله تعالى الحق، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88]، فلا وجود لشيء مطلقاً، وإنما كل شيء ثابت مقدّر بتقدير الله تعالى، لا منفيّ ولا موجود.

(صائِم) ﷺ دائماً في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً إلى آخر عمره في الحياة الدنيا، لعدم دعواه النفسانية، فكان يقول في حلفه: «**والَّذِي نَفْسِي بيدِهِ**» وهو عند ربّه في جميع أحواله.

(نَهارِ) شمس الأحدية المشرقة عليه، فكل أوقاته نهار، ولا ليل غفلة له،

ولا ظلمة شبهة فيه مصافٌ نهاره ذلك، إلى قوله ﷺ كما ورد في الحديث: «لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ»[1].

(إنّي) أي: تحقيقاً (أَبِيتُ) بحسب ما ترون مني في تناوب الليل والنهار علي (عِنْدَ رَبِّي) لا عند نفسي ولا عندكم، والحديث رواه البخاري: **«قالوا: إنك تُواصِلُ؟ قال: لستُ كأحدِكُم، إني أُطْعَمُ وأُسْقَى أو إنّي أَبِيتُ أُطْعَمُ وأُسْقَى»**.

وفي رواية عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: **«نَهى رسول الله ﷺ عن الوِصالِ قالوا: إنك تُواصِلُ؟ قال: إني لستُ مِثلَكُم، إني أُطْعَمُ وأُسْقَى»**.

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«لا تواصلوا فأيُّكم أراد أن يُواصِلَ حتّى السَّحَرِ، قالوا: إنّك تُواصِلُ يا رسول الله؟ قال: إني لستُ كَهَيْئَتِكُمْ، إني أَبِيتُ لي مُطْعِمٌ يُطْعِمُني وسَاقٍ يَسْقِيني»**.

وفي رواية عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عنِ الوِصالِ في الصَّومِ رَحْمَةً لهم، فقالوا: إنك تُواصل، قال: إني لستُ كهيئَتِكُم، إني يُطْعِمُني ربِّي ويَسْقِيني».

وفي رواية عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: **«نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله؟ قال: وأيُّكم مِثْلِي؟ إني أبيتُ يُطْعِمُني ربِّي ويَسْقِيني»**.

---

(1) ونصه في رواية: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تواصلوا قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله، قال: إني لست كأحدكم إن ربي يطعمني ويسقيني» رواه ابن حبان في الصحيح، فصل في صوم الوصال، حديث رقم (3574) ورواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في كراهية الوصال للصائم، حديث رقم (778) [3/ 148] ورواه غيرهما.

(وقائِم) في صلواته وعباداته ﷺ.

(لَيلِ) قوله ﷺ: إنه **(تَنامُ عَينَايَ)**، ولأجل هذا نام ﷺ ليلة الوادي[1]، وما أيقظهم إلّا حرُّ الشمس، فإنَّ نور الفجر وضوء النهار والشمس لا يدرك إلّا بالبصر، لا يدرك ذلك بالقلب.

(ولا يَنامُ قلبي) لأن قلبه عند ربّه، والربّ تعالى لا تدركه سنة ولا نوم، والذي عنده ملحق به، وهو الرّوح الذي من أمره، الحديث رواه البخاري في صحيحه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ في حديث طويل، قالت: **«يا رسولَ الله تنام قبلَ أنْ تُوتِرَ؟ قال: تَنامُ عينايَ ولا يَنامُ قلبي»**[2].

وفي رواية أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ يحدّث عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة، جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أوّلهم: أيّهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، وقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك، فلم يرهم حتى جاؤوا ليلة أخرى فيما يري قلبه، والنبي ﷺ نائم عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاه جبريل عليه السلام ثم عرج به إلى السماء»[3].

---

(1) ونص الحديث في صحيح البخاري: «عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة فقال بعض القوم: لو عرست بنا يا رسول الله، قال: أخاف أن تناموا عن الصلاة، قال بلال: أنا أوقظكم. فاضطجعوا وأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه فنام فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس فقال: يا بلال أين ما قلت؟ قال: ما أُلقيت عليّ نومة مثلها قط، قال: إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء يا بلال قم فأذّن بالناس بالصلاة، فتوضأ فلما ارتفعت الشمس وابيضت قام فصلى.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه. . . ، حديث رقم (3376) [3/ 1308] ورواه غيره.

(3) رواه البخاري في صحيحه، باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه. . . ، حديث رقم (3377) [3/ 1308] ورواه غيره.

(وَاسِطَةٍ) هو ﷺ **(ما بَينَ الوُجُودِ)** الحقّ سبحانه وتعالى **(وبَينَ العَدَمِ)** الثابت بإثباته تعالى، متوجّهاً عليه بالوجود الحقّ جلّ وعلا، وذلك العدم هو جملة المخلوقات التي هي ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصَص: الآية 88]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرّحمٰن: الآيتان 26،27].

قال تعالى مشيراً إلى ذلك: **(مَرَجَ)** مرج كفرح، وأمر مريج: مختلط، ذكره في القاموس، وقال الجوهري في الصحاح:

«قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ [الرّحمٰن: الآية 19] أي: خلاهما لا يلتبس أحدهما بالآخر، قال الأخفش ويقول قوم: أمرج البحرين مثل مرج فعل وأفعل، والمرج بالتحريك، مرج الخاتم في إصبعي بالكسر أي: قلق مثل جرح، ومرج الدين والأمر اختلط واضطرب».

(﴿الْبَحْرَيْنِ﴾) بحر الوجود الحق المطلق بالإطلاق الحقيقي بحيث إنه لا يتقيّد ولا يقيّد الإطلاق، وبحر العدم الذي هو قيود مجرّدة ثابتة مقدّرة بتقدير الوجود الحق القديم، ولا وجود لها من نفسها أصلاً، والوجود الظاهر عليها من غير مماسّةٍ ولا حلولٍ هو الوجود الحق جلّ وعلا.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ۝٢٠﴾ [البُروج: الآية 20]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: الآية 6]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هُود: الآية 12]، فهو الذي يتصرّف عن كل شيء بطريق الوكالة عنه، فالمتصرّف هو الشيء لكن بوكيله وهو الله تعالى لا بنفسه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هُود: الآية 57]، وهذه الواسطة بين الوجود والعدم جامع بينهما، روحه من أمر الله، لا يخفى أمر الله النازل إليه، وهو الوجود الحق الغالب على عدم الصورة الكونية والخلقة المحمدية ﷺ.

وقوله: (﴿يَلْتَقِيَانِ﴾) أي كل واحد منهما يلتقي مع الآخر من غير مسّ ولا

حلولٍ ولا اتّحادٍ وإن توهّمت العقول المحجوبة شيئاً من ذلك، فإنّ الوجود كيف يمكن أن يمسّ العدم أو يحلّ فيه أو يتّحد به أو يخالطه؟ وكذلك العدم كيف يمكن أن يمسّ الوجود أو يحلّ فيه أو يتّحد به؟ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

(ورَابِطَةِ) من ربطته ربطاً من باب ضرب ومن باب قتل لغةً شدّدته، ذكره في المصباح، فالرابطة ما هو الوسيلة بين الشيئين بحيث يربط أحدهما بالآخر.

(تَعلُّقِ الحُدُوثِ) الذي هو ظهور المخلوقات بنور وجود الخالق، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النّور: الآية 35].

(بِالقِدَمِ) وهو حضرة الوجود الحق تعالى المتوجّه بأمره القديم على معلوماته المترتّبة في حضرة علمه، ولها مقادير معلومة له تعالى لا تظهر إلّا بها.

قال تعالى: (﴿بَيْنَهُمَا﴾) أي: بين هذين البحرين (﴿بَرْزَخٌ﴾) [المؤمنون: الآية 100] أي: حاجز بين الشيئين أي: العبد والربّ تعليماً وإرشاداً، قال في القاموس:

«البرزخ: الحاجز بين الشيئين، ومن وقت الموت إلى القيامة، ومن مات دخله».

وقال الجوهري في الصحاح:

«البرزخ الحاجز بين الشيئين، والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ».

وهي الحقيقة المحمديّة، فصاحب الموت الاختياري بالتحقيق في مقام الإسلام لله رب العالمين ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: الآية 20] مات عن دعوى نفسه «و» دخل هذا البرزخ، وهو حقيقته التي خلق منها، وهي نور

محمد ﷺ الذي من نور الله إذا لم تغيّره الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: الآية 20]، فالموت منها دخول في البرزخ المذكور إذا كان سالماً من غرورها.

(﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾) [الرحمٰن: الآية 20] أي: لا يبغي أحدهما على الآخر، فالحادث حادث، والقديم قديم، قال في المصباح:

«بغى الناس بغياً ظلم واعتدى، وبغى سعى في الفساد».

وقال في القاموس:

«بغى عليه يبغي بغياً علا وظلم وعدل عن الحق واستطال وكذب».

فمن ادّعى الوجود فقد بغى على الله، لأنه ثابت لا موجود، فإذا مات على ذلك بغى وكان في الآخرة على ما مات عليه، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: الآية 72].

(فذلكة): أي هذا المذكور بالأوصاف الكاملة هو (دَفْتَرٍ) أي: مجموعة فيه ما تفوق.

قال في المصباح:

«الدفتر جريدة الحساب وكسر الدال لغة حكاها الفراء وهو عربي، قال ابن دريد: ولا يعرف له اشتقاق، وبعض العرب يقول: تفتر على البدل كما تقول: فنتق على البدل»[1].

الاسم الإلٰهي **(الأوّلِ)** في حضرة العلم القديم الجامع لكل شيء عديم.

---

(1) قال الفراء: سمعت أعرابياً من قضاعة يقول: فنتق للفندق، وهو الخان (انظر تاج العروس للزبيدي شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي اليمني الحنفي، مادة فنتق) أبدلت الدال تاء.

(و) الاسم الإلٰهي **(الآخِرِ)** في حضرة الكون الحادث الجامع بكل شيء الله به عليم.

(وَمَرْكَزِ) هو مكان الركز.

قال في المصباح:

«ركزت الريح ركزاً من باب قتل أثبته في الأرض فارتكز، والمركز [وازن مسجد][1] موضع الثبوت».

وقال في القاموس:

«ركز الرمح يركِزُهُ ويركُزُهُ غَرَزَه في الأرض. . . وركز العرق اختلج كارتكز، والمركز وسط الدائرة وموضع الرجل ومحلّه، وحيث أُمِر الجند أن يَلْزَمُوه».

(إحَاطَةِ) أي: جمعيّة الاسم الإلٰهي **(البَاطِنِ)** بحيث لا يمكن أن يعمله سواه.

(و)الاسم الإلٰهي **(الظَّاهِرِ)** بحيث لا يمكن أن يغيب عن أحد مطلقاً في الدنيا والبرزخ والآخرة، سواءً عرفه مَن عرفه أو جهله مَن جهله أو أنكره مَن أنكره.

(حَبِيبِكَ) أي: محبوبك، والخطاب لله تعالى السابق ذكره في ابتداء هذه الصلاة بقولِهِ: **«اللَّهُمَّ»** أي: يا الله.

قال في المصباح:

«أحببت الشيء ـ بالألف ـ فهو محبّ واستحببته مثله، ويكون الاستحباب بمعنى الاستحسان، وحببته أحبّه من باب ضرب والقياس أحبه بالضم لكنه غير

(1) كذا وردت العبارة في الأصل إلا أننا لم نجدها في (المصباح).

مستعمل، وحببته أحبه من باب تعب لهذيل، حاببته حباباً من باب قاتل، والحب اسم منه وهو ميل القلب إلى الشيء، وقد يكون بالتفضيل له على غيره، فهو محبوب وحبيب وحب بالكسر، والأنثى حبيبة وجمعها حبايب، وجمع المذكر أحباء».

(الذي اسْتَجْلَيْتَ) من جهة صفاتك وأسمائك، أي: كشفت وأظهرت.

(بِهِ) برسمه الفاني وإثباته الذاتي **(جَمَالَ ذَاتِكَ)** أي حسن وجودك الذي هو وجهك الواحد الأحد ليس الذي معه في وجوده أحد.

(عَلَى مِنَصَّةِ) بكسر الميم.

قال في المصباح:

«نص النساء العروس نصاً رفعنها على المنصة وهي الكرسيّ الذي تقف عليه في جلائها بكسر الميم».

لأنها **(تجلّياتك)** جمع تجلّيَ وهو انكشاف الوجود الإلٰهي الحق بالعوالم الفانية الباطلة انكشافاً للعوالم من أنفسها لأنفسها، وهي حضرته تعالى حضرة صفاته وأسمائه، وحضرة الذات العلّيّة مكشوفاً لها الأمر في نفسها لنفسها، و﴿ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 97] لا يحتاج في ظهوره لنفسه إلى شيء من هذه الذاتيات ليظهر بها.

(ونَصَبْتَهُ) ﷺ أي جعلته **(قِبْلَةً)** سمّيت بذلك لأنّ المصلّي يقابلها، ذكره في المصباح.

وقال في القاموس:

«القبلة... وبالكسر التي يصلّى نحوها، والجهة والكعبة وكلّ ما يُستقبل».

(لِتَوَجُّهَاتِكَ) آثار صفاتك وأسمائك وصور مخلوقاتك **(في جامِعِ تَجَلِّيَاتِكَ)** أي: انكشافاتك وظهوراتك في كل شيء بعيون مخلوقاتك لمخلوقاتك، كما قال

تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج: الآية 3]، وفي حديث المتقرّب بالنوافل: «**كُنتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ**»[1].

(وخَلَعْتَ) من قولهم: خلع عليه خلعة، ذكره في صحاح الجوهري، وقال في القاموس:

«خلعت العضاه[2] أورقت كأخلعت، والخلعة بالكسر ما يخلع على الإنسان، وخيار المال، ويُضمّ».

(عَلَيهِ) أي على النبي ﷺ.

(خِلْعَةً) ـ بالكسر والضمّ ـ الصفات، فظهرت صفاتك عليه، وما ادّعاها لنفسه، لأنه المتخلّق بها، كما قال ﷺ: «**إنَّ لله مائَةَ خُلُقٍ وسَبْعَةَ عَشَرَ خُلُقاً، مَنْ أتاهُ بِخُلُقٍ منها دَخَلَ الجَنَّةَ**»[3].

وروى المناوي في شرح الجامع الصغير عن الطبراني في الأوسط مرفوعاً: «**أنَّ لله عزَّ وجلَّ لَوْحاً مِن زَبَرْجَدَةٍ خَضْرَاءَ تَحْتَ العَرْشِ كُتِبَ فيه: أنا الله لا إلَهَ إلاَّ أنا أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، خَلَقْتُ بِضْعَةَ عَشَرَ وثلاثمائَةَ خُلُقٍ، مَنْ جَاءَ بِخُلُقٍ منها مَعَ شهادَةِ أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله دَخَلَ الجَنَّةَ**»[4] وإسناده حسن.

(الصِّفَاتِ) الإلٰهيّة، وهي المكنّى عنها بالأخلاق باعتبار ظهورها في المخلوقين، ولا يتنبه إليها إلّا الكاملون من العارفين، وقد أعرض عنها كل الغافلين، وادّعوها لأنفسهم.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب التواضع، حديث رقم (6137) [5/ 2384] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله. . .، حديث رقم (347) [2/ 58] ورواه غيرهما.

(2) العضاه: كل شجر يعظم وله شوك (انظر الصحاح للجوهري، مادة عضه).

(3) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أبو يعلى في المسند الكبير [1/ 36].

(4) رواه أبو الشيخ في العظمة، ذكر شأن ربنا تبارك وتعالى. . .، حديث رقم 45) [2/ 497] ورواه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في الدعاء والمسألة من الله عزّ وجل حسن الخلق، حديث رقم (8540) [6/ 364].

(**وَالأَسْمَاءِ**) جمع اسم، وهي ظهور تلك الصفات، فالحياة والعلم والإرادة مثلاً صفات، والحيّ والعالم والمريد أسماء.

(**وتَوَّجْتَهُ**) أي جعلت له ﷺ تاجاً، وهو يُلبس على الرأس للزينة، قال في المصباح:

«التاج للعجم، وجمعه تيجان، ويقال: توّج إذْ سوّد، أي جُعل سيّداً على قوم وأُلبس التاج، كما يقال في العرب: عُمّمَ».

وقال في القاموس:

«التاج: الإكليل، وجمعه تيجان، وتوَّجه فتتوَّج: ألبسه إيّاه فلبس».

(**بِتَاجِ الخِلافَةِ**) عنك وهي جعلك له سبباً في إظهار التصرُّفات الإلٰهية في جميع البرية.

(**العُظْمَى**) وصف الخلافة، لأنه أظهر من الله تعالى ومن تصرُّفات وحده في جميع المخلوقات، سواءٌ كان التصرُّف بأسباب أو بغير أسباب.

(**وأَسْرَيْتَ**) خطاب لله تعالى كما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: الآية 1]، والإسراء مسند في الآية إلى الله تعالى لا إلى النبي ﷺ، وهو فعل المستخلف بالخليفة، منسوب إلى الخليفة.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: الآية 96]، أي وأعمالكم، وهكذا الأمر في كل خليفة، سواءٌ عرف أو لم يعرف.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: الآية 55].

(**بِجَسَدِهِ**) ﷺ الذي كان في مكة.

(**يَقْظَةً**) مصدر يقظ.

قال في المصباح:

«يقظ من باب تعب، ويقظة بفتح القاف ويقاظة خلاف نام، وكذلك إذا انتبه للأمور وأيقظه ـ بالألف ـ واستيقظ وتيقظ، ورجل يقظان وامرأة يقظى».

وقال في القاموس:

«اليَقَظَة: محركة نقيض النوم، وقد يَقُظَ كَكَرُمَ وفَرِحَ يَقاظة ويقظاً [محرّكة ورجل يقظ ج: أيقاظ، وهي يقظى] ج: يقاظى».

(**مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ**) مسجد مكة المحترم (**إلى المَسْجِدِ الأقْصَى**) مسجد بيت المقدس، قال في المصباح:

«قصي المكان قصواً من فقد بعد فهو قاص، وبلاد قاصية المكان، والمسجد الأقصى: الأبعد».

(**حَتّى انْتَهَى**) من انتهى الأمر بلغ النهاية، وهي أقصى ما يمكن أن يبلغه، وانتهيت الأمر إلى الحاكم ـ بالألف ـ أعلمته به، ذكره في المصباح، أي: وصل في إسرائه بالعروج حتى انتهى.

(**إلى سِدْرَةِ**) اسم شجرة، قال في المصباح:

«السدرة: شجرة النبوة، والجمع سدر، ثم يجمع على سدرات فهو جمع الجمع».

وسدرة المنتهى هذه غاية ما ينتهي إليه عمل العاملين من الخير، وعندها الجنة.

قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: الآيتان 14، 15].

وقال البيضاوي: «سدرة المنتهى التي ينتهي إليها أعمال الخلائق وعلمهم».

فكان إسراء الله تعالى بالنبي ﷺ من أسفل العالم إلى أعلاه، فأطلعه على ما اشتمل عليه العالم من أوله إلى آخره، «و» من مبدئه إلى منتهاه.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: الآية 42]، وهو انتهاء العوالم كلّها، منه بدء الأمر وإليه «المنتهى».

(المُنْتَهَى) ﷺ بعد أن رأى العوالم كلها ما مضى وما سيأتي، والكل عنده حاضر، حيث خرج الزمان العلوي والمكان السفلي بإخراج الله تعالى له الذي أسرى به ليلاً أي: في ظلمة ليل الأكوان، فلمّا انتهى في ذلك كشف له عن حضرة العيان، فأشرق عليه نور الكشف والبيان، وعاين حقيقة ذات القرآن، وهذا معنى الترقي، أي: الصعود إلى أعلى من ذلك، قال في المصباح:

«رقيت السطح والجبل: علوته، يتعدى بنفسه».

(وَتَرَقَّى) منزلة **(إِلَى منزلة قَابَ قَوْسَينِ)** القاب من القوس ما بين المقبض إلى السيئة، ولكلّ قوس قابان، والسيئة ـ بالكسر مخففة ـ ما عطف من طرفي القوس، وهذه المنزلة مقام شهود النبي ﷺ لربّه في جملة العوالم العلويّة والسفليّة من الماضي والآتي، والكلّ حال حاضر عنده، وهو تعالى الظاهر المتجلّي بكل ذلك، وهو أيضاً تعالى الباطن المنزّه عن كل ذلك.

فكنّى بالقوسين عن الظاهر والباطن، وعن الأول والآخر، والظاهر والباطن، وذلك لأنّ سهام التقادير الكونية تخرج بالرامي من قيس الأفلاك العلويّة.

والقاب ما بين مقبض الحق بيده وبين موضع السبب وهو الوتر، فالقوسان قوس العلم الإلهي القديم وقوس الظل الظاهر على طبق القديم، وظهوره في نور الذات كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: الآية 35]، فإنّ الظلّ لا بدّ له من شاخص يكون في النور حتى يظهر عنه الظلّ.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: الآية 45]، وكل قوس له قابان: قاب سفلي، وقاب علوي، كالسماوات والأرض، وهذا مقام شهود الله تعالى، وهو شهود النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: الآية 18] ـ أي: العلم بالله ـ وهم الأنبياء والمرسلون والأولياء، يعلمون الله تعالى بعلمه للعوالم لا بأنفسهم، «و»بعلومهم العقلية.

(أوْ أَدْنَى) أي: القرب من ذلك، فإن رؤية الحق تعالى بالظاهر والصور الكونية يسمّى شهوداً، وهو رؤيته تعالى موصوفاً بالأوصاف مسمّى بالأسماء، وأمّا مقام الذات فهو أعلى من ذلك، وليس في هذا المقام شيء مطلقاً لا رائي ولا مرئي، ولا شاهد ولا مشهود، وهو الغيب المطلق.

وهكذا الشأن لا يجده أحد إلّا صاحب هذا المقام المحمود الذي لا ينبغي إلّا لرجل واحد كما قال ﷺ: **«وأرْجو أنْ أكونَ أنا ذلك الرَّجلَ»**[1]، وكلُ وليّ مقرّب ونبيّ ورسول يرجو أن يكون هو ذلك الرجل، أمر ذوقيّ وجدانيّ انقطع عنده الكلام، وانطوت الصحف، وارتفعت الأقلام، فمن آمن به وصدّق على غيبه كمل إيمانه، وصدق إذعانه، وكان من الآمنين، ومن أنكره وكذّب به كشف عن جهله وقبح سريرته بين العالمين.

وللبوصيري الشاذلي (قدس سرّه) في همزيته المديح النبويّ المحمّديّ قوله:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء

وإلى ذلك الإشارة القرآنية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية 10] أي: الحقيقة الذاتيّة بالنسبة إليه ﷺ ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ

(1) رواه بنحوه الترمذي في السنن، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3614) [5/ 586] ورواه أحمد في المسند، برقم (6568) [2/ 168] ورواه غيرهما.

أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: الآية 10] بالنسبة إليهم، وهي الحضرة الصفاتيّة والأسمائيّة، ولهذا قال بعده: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية 10] في عالم الذرّ، وهو عهد ربوبيّته لهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ [الأعراف: الآية 172].

(**فَسُرَّ**) فعل دعاء خطاب لله تعالى، أي: اجعله مسروراً بفرح كمال العرفان، وتحقيق مقام الكشف والعيان.

(**فُؤَادُهُ**) أي قلبه ﷺ (**بِشُهُودِكَ**) الدائم وعيانك القائم.

(**حَيثُ لا صَباحَ ولا مَساءَ**) في عالم الأكوان، فلا نور ولا ظلمة ولا كلام ولا كلمة، والشاهد في حضرة الكلام القديم وكلمة الأمر الحكيم قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ﴾ [النجم: الآية 11] أي: قلبه ﷺ (**مَا رَأَى**) أي: رؤيته أو مرئيه أو الذي رأى، والرؤية منه ﷺ محقّقة في جملة العالم العلويّ والعالم السفلي، ورؤية الحضرات الصفاتيّة والأسمائيّة إذا حضر وإذا غاب، فرؤيته ذاتيّة من الطرفين، طرف الشاهد وطرف المشهود.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: الآية 101]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: الآية 3]، ومعلوم أنّ ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: الآية 88]، ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: الآيتان 26، 27].

وقال ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه**»[1]، وهو الآن على ما عليه كان، فلا حلول في معنى في، ولا اتّحاد إلّا عند أهل الفساد في الاعتقاد.

(**وَقَرَّ**) فعل دعا أيضاً خطاب لله تعالى، معطوف على فعل الدعاء الأول وهو قوله: أسر من السرور، وأصله أقر بكسر القاف، قال في المصباح:

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

«قرّ اليوم قرّاً: برد، والاسم القُرّ ـ بالضم ـ فهو قر تسمية بالمصدر، وقارّ على الأصل، أي: بارد، وليلة قرّة وقارّة وقرّة، وقرّت العين قُراة ـ بالضم ـ وقروراً بردت سروراً، وأقرّ الله العين بالولد وغيره إقرار بالتعدية».

(بَصَرَهُ) ﷺ **(بِوُجُودِكَ)** الذي هو وجهك الظاهر المحيط بكل شيء ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88].

(حَيثُ لا خَلاءَ) أي: فراغ.

قال في القاموس:

«خلى المكان خلواً وخلاء وأخلى واستخلى: فرغ، ومكان خلاء: ما فيه أحد».

وقال في صحاح الجوهري:

«الخلاء: المكان الذي لا شيء به».

(وَلاَ مَلاءَ) هو خلاف الخلاء من قولك: ملاءت الإناء ملأ من باب نفع فامتلأ، ولا خلاء ولا ملأ، فإنّ الخلاء هو الموهوم كما حقّقه السعد في شرح عقائد النسفي وغيره، والملاء هو الخيال الموهوم أيضاً بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [القصص: الآية 88]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرّحمٰن: الآية 26].

وقوله ﷺ: **«كانَ الله ولا شيءَ معَهُ»** وهو الآن على ما عليه كان، وإذا كان الأمر كذلك فقد قال شيخنا الوليّ الكامل العارف محيي الدين ابن العربي (قدّس سرّه):

إنما الكون خيال ... وهو حق في الحقيقة

كل مَن يعرف هذا ... حاز أسرار الطريقة

قال الله تعالى: (﴿مَا زَاغَ﴾) [النّجم: الآية 17] أي: مال.

قال في الصحاح:

«زاغت الشمس تزيغ زيغاً: مالت، وزاغ الشيء كذلك ويزوغ زوغاً».

وقال في القاموس:

«الزيغ: الشكّ والجور عن الحق».

(﴿ٱلْبَصَرُ﴾) المحمديّ في رؤيته، يعني: ما مال عن ربّه إلى رؤية غيره، ولا داخله شكّ في أنه ربّه، وما طغى، يقال: طغى طغوا من باب قال، وطغى طغياً من باب تعب، ومن باب نفع لغة أيضاً فيقال: طغيت والاسم الطغيان، وهو مجاوزة الحدّ، وكلّ شيء جاوز المقدار والحدّ في العصيان فهو طاغ، وأطغيته جعلته طاغياً، وطغى السبيل ارتفع حتى جاوز الحدّ في الكثرة، ذكره في المصباح.

﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: الآية 17] البصر أيضاً، أي جاوز حدّه في الرؤية، فإن الرؤية متعلقها ظاهر المرئي دون باطنه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: الآية 13] يعني: نزلة جسمانية بعد النزلة الروحانية، وهذه المنزلة الأخرى كانت ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: الآية 14] التي ينتهي إليها علم الخلائق وأعمالهم. ثم قال تعالى: ﴿عِندَهَا﴾ أي: عند سدرة المنتهى ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: الآية 15] في عالم الجسمانيات.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [النجم: الآية 16] من العلوم والأعمال الصالحة التي هي كلها تجلّيات إلٰهيّة وظواهر ربانيّة.

ثم قال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النجم: الآية 17] عند ذلك ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: الآية 17] في الزيادة على ذلك.

وقال قبله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ [النجم: الآية 12] أي: تجادلونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: الآية 12] ولم يقل على ما رأى.

ولأنه ﷺ كان له دوام الرؤية من غير غفلة إلاّ أحياناً أشار إليها بقوله ﷺ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ على قلبي، وإني لأَسْتَغْفِرُ الله**»[1] حتى قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ـ قدّس سرّه ـ: «إنه غين أنوار لا غين أغيار».

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(صَلِّ) فعل دعا **(اللَّهُمَّ)** أي: الله **(عَلَيهِ)** أي على النبي ﷺ **(صَلاةً)** هي من الله تعالى الرَّحمة، والنبي ﷺ هو الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: الآية 107].

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: الآية 54]، فهو ﷺ الرحمة المكتوبة ـ أي المخلوقة ـ على نفسه تعالى حجاباً عند قوم ومظهراً عند قوم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: الآية 10].

وقال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: الآية 156]، وهي نور محمد ﷺ المخلوق من نور الله، وقد خلق الله تعالى من نوره ﷺ كل شيء، فرحمة الله قديمة، لأنها من صفاته تعالى، وهي نوره تعالى الذي خلق منه نور محمد ﷺ، وهو: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النور: الآية 35] بنور محمد ﷺ المخلوق، فالمطلوب بهذه الصلاة اللحاق به ﷺ، ولهذا قال:

(يَصِلُ بِهَا) أي: بهذه الصلاة **(فَرْعِيَ)** الذي هو جملتي روحاً ونفساً وجسداً **(إِلَى أَصْلِي)** الذي هو نور محمد ﷺ.

(وَيَصِلُ) بها أيضاً **(بَعْضِي)** أي: كلُّ بعض من هذه الأبعاض الثلاثة: الروح، والنفس، والجسد **(إِلَى كُلِّي)** الذي هو النور المحمديّ.

(لتتحد ذاتي بِذَاتِهِ) ﷺ بجملته، وقد خلق من حقيقته ﷺ، فيرجع إلى من خلق منه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: الآية 128].

وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: الآية 39].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: الآية 41] وكل بني آدم كذلك.

كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ۝٧٠﴾ [الإسراء: الآية 70].

ولكن منهم من هداه الله لمعرفة نفسه، ومنهم من أضلّه، كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ﴾ [يونس: الآية 108] أي لمعرفة نفسه فيعرف بها، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: الآية 108] أي على نفسه، فلا يعرفها، فلا يعرف ربّه.

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم: الآيتان 35، 36].

(وتتّحد) أي: تصير واحدة **(صِفَاتِي)** جمع صفة، بالمتابعة له ﷺ والاقتداء به بلا سؤال عن حكمة شيء من ذلك، ولا طلب معرفة سبب ولا علة، وإنما المقصود المتابعة والاقتداء، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآية 158].

(بِصِفَاتِهِ) ﷺ **(وتَقِرُّ)** أي: تسكن وتبرد **(العَيْنُ)** أي ذاتي المتودّدة المتحيّرة الحارة بكثرة الحركة من الاستقاء الموهوم **(بالعين)** أي الذات المحمدية التي هي نشأتي **(ويَفِرُّ)** أي يذهب بسرعة عنّي **(من البَيْنُ)** أي: البُعد والمغايرة الوهمية **(مِنَ البَيْنِ)** أي: بيني وبينه ﷺ.

(وسَلِّمْ) معطوف على «صل» وهو فعل دعا أيضاً بالسلامة من كل نقص.

(عَليه) ﷺ وهو سالم من ذلك، لتحقّق عصمته وحفظه على اليقين، ولكن لتعودَ فائدة هذا الدعاء إلى الداعي، ولهذا قال:

(سَلاماً أَسْلَمُ بِهِ) أي أصير به سالماً بسببه **(في)** سلوكي طريق **(مُتابَعَتِهِ)** ﷺ، والاقتداء به **(مِنَ التَّخَلُّفِ)** عنه بتشديد اللام.

قال في المصباح: «تخلّف عن القوم إذا قعد عنهم ولم يذهب معهم، وخلّف الرجلُ الشيءَ ـ بالتشديد ـ تركه بعده».

(وَأَسْلَمُ) أيضاً **(فِي)** سلوك **(طَرِيقِ شَرِيعَتِهِ)** ﷺ، وهي الأحكام التي كلّف الله تعالى بها عباده المؤمنين فعلاً، وكفى بنيّة التقرُّب بها إليه تعالى.

(مِنَ التَعَسُّفِ) يقال: عسف في الأمر فعله من غير رؤية، ومنه عسفت إذا سلكت على غير طريق، والتعسّف والاعتساف مثله، وهو راكب التعاسيف وكأنه جمع تَعساف ـ بالفتح ـ مثل التضارب والتناقل والتراحل حال من الضرب والقتل والرحيل والتفاعل، مطّرد في كل فعل ثلاثي، وبان يعسف الليل عسفاً إذا ضبطه بطلب شيئاً.

(لأَفْتَحَ) عنده فائدة أخرى يعود نفعها عليه وهي فتح **(بَابَ مَحَبَّتِكَ)**، الخطاب لله تعالى الذي دعاه أولاً بقوله ﷺ وثانياً بقوله ﷺ.

(إِيَّايَ) بحيث تحبني كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: الآية 54].

(بِمِفْتَاحِ مُتَابَعَتِهِ) ﷺ والاقتداء به، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: الآية 31].

(وَأُشْهِدُكَ) ولا أشهدك معانياً لحقيقة الوجود، وهو وجهك الحق ظاهراً إلي **(فِي)** شيئية **(حَوَاسِيّ)** الهالكة المعدومة الفانية، وحواسيّ هي القوى الخمسة: سمعي، وبصري، وشمّي، وذوقي، ولمسي.

(وَأَعْضَائِي)، هي جوارحي الخمسة: الأذنان، والعينان، والأنف، واللسان، وبقية البدن كله، وهذه القوى الخمس والجوارح الخمس كلّها أشياء هالكة فانية معدومة، غير أن الله تعالى مثبتها بقوله الثابت، وهو أمره لها بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: الآية 73]، وليس شيء منها منفياً، لأنّ الثبوت ضد النفي، والثابت لا يكون منفياً، كما أنّ الوجود خلاف العدم.

والله تعالى هو الوجود، وكل ما سواه عدم، ولكنه عدم، ثابت بإثباته تعالى بأمره قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: الآية 27]، فالذين آمنوا بالله، الوجود الحقّ، هم الذين يثبّتهم الله تعالى.

ولم يقل: يوجد الله تعالى، لأنهم غير موجودين، والوجود عندهم هو الوجود الحقّ الواحد الأحد المحيط بكل شيء، وهم المعدمون الثابتون بالقول الثابت في حياتهم الدنيا وفي الآخرة ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: الآية 27] الذين يدّعون الوجود الحقّ المحيط بهم أنه وجودهم.

والوجود عندهم اثنان:

1 ـ وجود حادث.

2 ـ ووجود قديم.

فالوجود الحادث لهم، والوجود القديم لربهم، وهذه دعوى منهم لا بيّنة عليها لا من كتابٍ ولا سنّةٍ، ونحن مأمورون بمتابعة الكتاب والسنّة لا متابعة العقول، وإنما الكتاب والسنّة يردانها على القائل بها ما لو لم تقولوا الآيات والأحاديث ويحرّفونها عن مقتضى اللغة العربية.

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: الآيتان 26، 27]، والأصل في اسم الفاعل أنه للحال.

ويؤيّده قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: الآية 3]، وقال النبي ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه**»[1]، وهو الآن على ما عليه كان.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(مِنْ مِشْكَاةِ) بالكسر هي كلّ كوة غير نافذة، ذكره في القاموس.

(شَرْعِهِ) الذي أنا قائم بإقامته تعالى فيه ممتثلاً أمره ومجتنباً نهيه.

(وَطَاعَتِهِ) من غير مخالفة ظاهراً وباطناً، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: الآية 96] أي: وخلق أعمالكم، فكانت الأعمال التي يخلقها الله تعالى ـ الشريعة والطاعات المرضية ـ بمنزلة المشكاة في جدار النشأة الجسمانيّة، والشهود حاصل منها لقلب العارف، فيكشف بذلك عن الحقائق والمعارف.

(وَأُدْخِلُ) معطوف على أشهدك **(وَرَاءه)**.

قال في المصباح:

«وراء كلمة مؤنثة تكون خلفاً وتكون قدّاماً، وأكثر ما يكون ذلك في المواقيت من الأيام والليالي، لأنّ الوقت يأتي بعد مضي الإنسان فيكون وراءه، وإن أدركه الإنسان كان قدامه.

ويقال: وراءك برد شديد، وقدامك برد شديد، لأنه شيء فهو من وراء الإنسان وهو بين يديه على تقدير لحوقه بالإنسان، فلذلك جاز الوجهان، واستعمالها في الأماكن سائغ على هذا التأويل في التنزيل: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: الآية 79] أي أمامهم» انتهى.

ولمّا كان التوحيد الإلٰهي والتفريد الربّانيّ محيطاً بالعوالم أزلاً وأبداً فعمّ وراء.

(إِلى حِصْنِ) الحصن المكان «الذي» لا يقدر عليه لارتفاعه، وجمعه حصون وحصن بالضم حصانة فهو حصين أي منيع، ويتعدّى بالهمزة والتّضعيف فيقال: أحصنته وحصّنته، ذكره في المصباح.

(لا إِلٰه إِلاَّ الله) إشارة إلى قوله ﷺ في الحديث القدسي: «**لا إِلٰهَ إِلاَّ الله**

حِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي» فإنّ هذه الكلمة لبّ التوحيد وزبدة البحر والتفريد.

قال تعالى لنبيّه محمد: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمّد: الآية 19].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية 25].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: الآية 18].

(وَأَدْخُلُ فِي أَثَرِهِ) يقال: جئت في أَثَره ـ بفتحتين ـ وإِثْره ـ بكسر الهمزة والسكون ـ أي: تبعت عن قرب، ذكره في المصباح.

(إِلَى خَلْوَةٍ) يقال: خلي بزيد خلوة انفرد به، ذكره في المصباح.

قول النبي ﷺ: **«لِي وَقْتٌ»** أي: زمان يمرّ عليّ لا على الله **(مَعَ الله)** أخلو به، **«لا يَسَعُنِي فيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ»**(1)، فالملك المقرّب جبريل عليه السلام، والنبي المُرسل هو نفسه ﷺ، فوقت خلوته مع أن يتجلّى الله بنفسه لنفسه، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88]، أي: ذاته.

(إِذْ) لأنه ﷺ **(هُوَ بابُكَ)** المفتوح لا يغلق عن دعاء إلى الأبد **(الَّذِي مَنْ لَمْ يَقْصُدْكَ)** بالدخول إلى حضرتك **(مِنْهُ)** أي من جهته ﷺ **(سُدَّتْ له)** ـ بالبناء للمفعول ـ أي: سَدَّ الله تعالى عليه جميع **(الطُّرُقُ)** جمع طريق **(وجَمِيعُ الأَبْوابِ)** جمع باب، فلا يمكنه أن يدخل إلى حضرتك، ولا يقدر أن يذوق طعم قطرة

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2159) [2/ 226] وقال: تذكُره الصوفية كثيراً وهو في رسالة القشيري بلفظ: لي وقت لا يسعني فيه غير ربي ويقرب منه ما رواه الترمذي في شمائله وابن راهويه في مسنده عن علي في حديث كان ﷺ إذا أتى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين كل الناس كذا في اللآلىء.

من شربتك، ويقع في حبال شبكات الخيال، ويعبد رباً منحوتاً بفكره، لاستيلاء الغفلة عليه والخيال.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: الآيتان 95، 96].

(وَرُدَّ) معطوف على سدّ، وهو مبنيّ للمفعول أيضاً، أي: ردّه الله تعالى وطرده حيث لم يقصده تعالى، فهو مردود غير مقبول، ومحروم من الترقّي في درجات الوصول.

(بعَصَا) متعلّق بردّ، أي: مضروب من جهة الله بعصا **(الأَدَبِ)** الذي هو أمر لازم في الدين، وهو شعار المسلمين، فإنّ دين الإسلام كله أدب في شأن ربّ العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: الآية 85].

(إلَى إسطبل) هو عربي، وقيل: معرّب، وهمزته أصلية، والجمع إسطبلات، ذكره في المصباح.

وقال في صحاح الجوهري: «الإسطبل للدوابّ، واللغة أصلية، لأنّ الزيادة لا تلحق بنات الأربعة من أوائلها إلّا الأسماء الجارية على أفعالها، وهي من الخمسة أبعد، قال أبو عمرو: والإسطبل ليس من كلام العرب».

(الدَّوَابّ) جمع دابّة

قال في المصباح:

«كل حيوان في الأرض دابّة، وخالف بعضهم فأخرج الطير من الدوابّ، وردّ بالسماع وهو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: الآية 45]، فالذي خُلِقَ كُلُّ حيوان مميزاً كان أو غير مميّز، وأما تخصيص الفرس والبغل بالدابّة عند الإطلاق تعرف طارىء، وتطلق الدابة على الذكر والأنثى، فالجمع الدوابّ».

ومعنى الردّ إلى إسطبل الدوابّ بأن تبقى همّته وشهوته وبطنه وفرجه مثلَ

الحيوانات، ولا همَّة له في طلب معرفة ربّه، فيصير بيته الذي يسكنه ويبات فيه مملوءةً من القاذورات، كدماء الحيض في نسائه والبول والغائط ملاحظةً، والصنان[1] والروائح المنتنة فائحةً من فمه وثيابه وأواني طعامه وشرابه، فكأنه دابّة ألقت جلالها، وما ألقت جلالها وهو في اسطبل بيته، ولا يقوم إلى الصلاة إلاّ كسالى وهو غافل عن ربّه وعن دينه، في دنياه يقظان، وما ذلك إلاّ لإعراضه عن متابعة الرسول، والاقتداء بشريعته الواجبة عليه.

(اللَّهُمَّ) يا الله **(يا رَبُّ)** يا مَن هو ربّ كل شيء أي مالكه ومربيه.

(يا مَنْ لَيسَ حِجَابُهُ) عن خلقه **(إلاّ النُّورَ)** الذي هو كما قال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النّور: الآية 35]، والسماوات والأرض في نفسها لم تخرج من ظلمة عدمها ـ ونور الله لم يتغيّر ـ والأشياء أيضاً عن ظلمة عدمها، وتوجّه النور عليها، وهو وجهه الباقي، والفناء لكل شيء.

(وَلا خَفَاؤُهُ) عن جميع الكلام البصائر والأبصار، فإنّ جميع البصائر والأبصار أشياء هالكة إلّا وجهه النور المبين الطارىء على الثوابت المترتّبة من الممكنات المسمات بالعالمين، المرئية المشهودة بعد معرفتها أنها من المعدومات معدودة، فيحصل بذلك شهود المقرّبين ورؤية البصائر والأبصار من عباد الله الصالحين.

(إلاّ شِدَّةَ الظُّهُورِ) فإنه ظاهر بذاته، والأشياء المعدومات المقدّرة بأسمائه وصفاته ليس معه منها شيء كما أنه ليس مع الشمس ونورها المشرق فيء.

(أسْألُكَ) أي: أطلب منك **(بِكَ)** سواء على صادر مني بك لا بي، لأني وجميع أعمالي وأفعالي وأحوالي صادرة عنك بنصّ قولك: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصّافات: الآية 96]، أي وخلق أعمالكم.

---

(1) الصنُّ: بول الوبر وهو منتن جداً... والصُّنان: ذَفَر الإبط، وقد أصَنّ الرجل أي صار له صنان.

(فِي مَرْتَبَةِ إِطْلاقِكَ) فإنَّ الإطلاق لله تعالى مرتبة من مراتبه، وقيد من قيوده، لأنَّ الإطلاق رفع جميع القيود عنه، والرفع قيد من القيود، لدخوله تحت تكليف المكلَّفين، حيث وجب عليهم أن يعتقدوه وأنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11].

(عَنْ كُلِّ تَقْيِيْدِ) بمشابهة شيء من الأشياء المحسوسة والمعقولة، فلا يدركه تعالى الحسّ ولا العقل، فهو غيب الغيب بلا شبهة فيه ولا ريب.

(الَّتِي) وصف لمرتبة الإطلاق **(تَفْعَلُ)** يا ربنا **(فِيهَا)** أي: في مرتبة إطلاقك من غير أن تتغيّر في ذاتك وصفاتك.

(مَا تَشَاءُ) من الأفعال **(وما تريد)**، ولا مانع يمنع، ولا شيء يمتنع، وإن منع العقل فلا يعتبر منعه مع الشرع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤٠﴾ [الأعراف: الآية 40] أي: يدخل الجمل ـ أي البعير ـ في سمّ الخياط ـ أي ثقب الإبرة ـ أحال الله تعالى فتح أبواب السماء للكافرين ودخولهم الجنة على هذا الشرط الذي يمنعه العقل، وهو «دخول» البعير في ثقب الإبرة مع بقاء البعير على كبره وثقب الإبرة على صغره، وهو مستحيل عقلاً عند المؤمنين بالعقل لا بالشرع.

وأمّا عند الذين إيمانهم بالشرع فهو جائز اقتداراً إلٰهياً، وهي مسألة ذي النون المصري قدّس الله روحه في إيراد الكبير على الصغير من غير أن يصغر الكبير ولا يكبر الصغير.

ومن ذلك أرض السمسمة التي دخلها الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي فوجد فيها ثلاثمائة مدينة أو أكثر، وكلّ مدينة فيها عوالم مختلفة، وفيهم ملوك ورعايا، وقد ذكر هذه الأرض في كتاب الفتوحات المكية، وله رسالة مستقلة في ذلك، والعقلاء متحيّرون لا يعرفون وجه الصواب فيه.

ومن تأمّل في هذه العوالم الجسمانية الروحانية من السماوات والأرض وجميع الأماكن والأزمان فإن الله تعالى خلق ذلك كله لا في شيء، فالقادر الذي خلق الأشياء كلها لا في شيء لا يعجز عن دخول الجمل في سمّ الخياط، إذ ليس سمّ الخياط شيئاً، ولا يعجز عن شيء مستحيل في العقل خصوصاً إذا دلّ على كمال القدرة.

فقد ورد في الأخبار النبوية أمور كثيرة يحيلها العقل كأحوال الموتى في القبور، وأن القبر روضة من رياض الجنة للمؤمن، وهو حفرة من حفر النار للكافر، ومع ذلك هو قبر من قبور الموتى في الدنيا.

(و) أسألك **(بِكَشْفِكَ)** معطوف على قوله: بك أي: إظهارك وتجلّيك **(مِنْ ذاتِكَ)** القديمة الأزليّة المطلقة بالإطلاق الحقيقيّ عن مدارك البريّة.

(بِالعِلْمِ) أي بعلمك القديم الأزلي الذي هو ليس بتصوّر المعلومات ولا تصديق بها، وإنما علم الله تعالى نفسه بنفسه، فعلم العوالم كلها، فعلمه بنفسه هو علمه بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه، وعلمه عين ذاته، وكذلك جميع أسمائه وصفاته مع إيماننا بجميع ما ورد في القرآن وفي الأحاديث النبوية، ولا نقول بالتعدُّد في الأسماء والصفات، ولا بمغايرة ذلك للذات، ونؤمن بالغيب ونترك الغيب.

(النُّورِيّ) أي: المنسوب إلى نور ذاتك، ونور ذاتك ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: الآية 35].

(و) أسألك أيضاً بسرّ **(تَحَوُّلِكَ)** من حيث الأسماء والصفات والأفعال والأحكام **(فِي صُوَرٍ)** جمع صورة.

كما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه(1)

(1) باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (182) [1/ 163] ورواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: الآيتان 22 - 23]، حديث رقم (7000) [6/ 2704] ورواه غيرهما.

بإسناده عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ أخبره عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يَجمَعُ الله الناس يوم القيامة فيقول: مَنْ يَعْبُدُ شيئاً فليتْبِعْه، فيَتْبَعُ مَنْ يعبُدُ الشَّمس الشمس، ويتبع مَن يعبدُ القمرَ القمرَ، ويتبَعُ مَن يعبُدُ الطَّواغِيتَ الطواغيت وتبقى هذه الأمَّة مُنافِقُوها فيأتيهم الله عزَّ وجلَّ في صُورَةِ غيرِ صُورَتِهِ التي يعرِفُونها، فيقول: أنا ربُّكم فيقولون: نعوذُ بالله منك هذا مكانُنا حتى يأتِينا ربُّنا، فإذا جاءَ رَبُّنا عَرَفْناهُ. فيأتيهم الله في صُورتِهِ التي يَعْرِفُونَ، فيقول: أنا ربُّكُم، فيقولونَ أنت ربُّنا فيتْبَعُونه إلى آخر الحديث الطويل بعدَ تَحَوُّلِ الله سُبحانه وتعالى مِنْ صُورَةٍ إلى صورة يَقْتَضِيها»** الحديثُ، وله روايات أخرى.

حضرة **(أسمائِكَ)** فإنَّ من أسمائه ـ تعالى ـ المصوِّر، فإذا صوَّر صورةً أمسكها باسمه المصوِّر، لأنها عرض فانٍ.

(وَ) صور **(صِفَاتِكَ)** يعني: الصورة التي تظهر عن تأثير أسمائه وصفاته، فإنَّ العوالم كلها آثار أسمائه وصفاته، فهو الظاهر بصور العوالم كلها من حيث تجلّياته بأسمائه وصفاته، وهو غيب الغيب من حيث ذاته تعالى، فهو الأوّل قبل ظهوره بصور العوالم، وهو الآخر بظهوره بصور العوالم، وهو الباطن عن صور العوالم.

(بِالوُجُودِ) متعلّق بتحوُّلك **(الصُّورِيِّ)** من حيث أسمائك وصفاتك، لا من حيث ذاتك.

(أَنْ تُصَلِّيَ) زيادة صلاة بعد صلاة تقدّمت، وبعد صلاة تأخرت، وهي الصلاة الدائمة والنِّعمة القائمة.

(عَلَى سيِّدِنا مُحمَّدٍ) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ **(صَلاةً تَكْحَلُ)** أي تضع الكحل الذي هو نور الحق ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: الآية 35] فأحسّ به في عيني الناظرة، كما ورد في الحديث: **«كُنْتُ بَصَرَهُ الذي يَبْصُرُ بِهِ»**[1].

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

فتنير **(بها)** أي بتلك الصلاة **(بصيرتي)** التي عين قلبي **(بِالنُّورِ المَرْشُوشِ)** إشارة إلى قوله ﷺ: «**إنَّ الله خلقَ خَلْقَهُ في ظُلْمةٍ ثُمَّ رَشَّ عليهم مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أصابَهُ مِن ذلك النُّور اهْتَدَى، ومَنْ أَخْطَأَهُ فقد ضَلَّ وغَوَى**»(1).

(في الأَزَلِ) يعني: أنّ خلق هذا الخلق ورشّ النور عليهم قديم، والحدوث ظهور ذلك بالنسبة إلينا.

(لأَشْهَدَ فَنَاءَ) أي: اضمحلال وانعدام **(ما لَمْ يَكُن)** من جملة هذه العوالم الحادثة.

(وَ) أشهد **(بَقَاءَ)** أي: دوام واستمرار **(مَا لَمْ يَزَلْ)** وهي عبارة الإمام الصنهاجي، وهو أبو العباس ابن العريف ـ قدّس سرّه ـ في كتابه محاسن المجالس، وهو قوله: «**يُفْنِي مَنْ لم يكن، ويُبْقِي مَنْ لَمْ يَزَلْ**» وعبارة الصلوات هنا: (بما كان من) وفيها تغليب من لم يعقل على من يعقل، وفي الأصل تغليب من يعقل على من لم يعقل، والمراد واحد في قصد العموم، لأن المراد من هذه العبارة أنه: ما لم يفن كل ما سوى الله تعالى من بصر العارف ومن بصيرته، لا «الن» يظهر له الله الباقي الدائم الأبديّ الأزليّ، ولا يكون له الكشف والشهود، ومعرفة تجلّي الحقّ الودود.

ولابن العريف في كتابه المذكور عبارة أخرى وهي: «قولنا: الطريق عندهم أن يكون العبد غائباً والحق حاضراً».

(فَأَرَى) معطوف على أشهد **(الأَشْيَاءَ)** المحسوسة والمعقولة كلها وأنا معها مع رؤيتي لها جميعها.

(كَمَا هِيَ) ما تغيّرت عن كونها **(في أَصْلِهَا مَعْدُومَةً مَفْقُودَةً)** فانية **(وَ)**عن **(كونها لَمْ تَشُمَّ)** جميعها مع المتكلّم والسامع، وكذا ذات كل شيء وصفاته

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، حديث رقم (83) [1/ 84] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر إلقاء الله جلّ وعلا النور . . . ، حديث رقم (6169) [14/ 43] ورواه غيرهما.

وأسمائه وأفعاله وأحكامه الحادثات كلها المنسوبة عنده إليه **(رَائِحَةَ الوُجُودِ)** ولا يليق بها الاتّصاف بالوجود مع ربّها، تعالى الحقّ فتشاركه في أمر انفرد به **(فَضْلاً عَنْ كَوْنِهَا)** أي الأشياء **(مَوْجُودَةً)** أي متّصفة بالوجود عند نفسها أو غيرها، كما قال النبي ﷺ: «**كانَ الله ـ أي وجد ـ ولا شيء معه**»[1]، وهو الآن على ما عليه كان، وهذه الصفة له تعالى قديمة إليه، لا تتغيّر ولا تتبدّل لعدم حدوثها، وهي انفراده تعالى بالوجود.

وأدلّته كثيرة من الكتاب والسنّة وإجماع الأمة المعتبر إجماعهم دون الجاهلين العوامّ، الجاهلين في كل زمان.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: الآية 62].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ [الإسراء: الآية 81].

وفي صحيح مسلم: «**قال رسول الله ﷺ: أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَ شَاعِرٌ لَبِيدٌ:**

«**ألا كُـلُّ مَـا خَـلاَ الله بَـاطِـلُ**»[2]

والباطل مفسّر بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [القصص: الآية 88]، وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ [الرحمٰن: الآية 26]، ومَن هداه الله إلى الحق وجد الأكوان كلها دالّة.

وشواهد ما ذكرنا: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [الأعراف: الآية 178]، ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: الآية 186]، فهو في الشكّ والتردُّد والإنكار، ممقوت مرتبط برؤية الأغيار، متلقّب بدعوى الوجود، مستغرق

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر، حديث رقم (2256) [4/ 1768] ورواه أحمد في المسند عن أبي هريرة، حديث رقم (10076) [2/ 470] ورواه غيرهما.

في شهوات بطنه وفرجه آناء الليل وأطراف النهار، حتى يدهمه أجله المحتوم، فيخرج من الدنيا جاهلاً حائراً مغضوباً عليه ممقوتاً وهو محروم، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: الآية 213]، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية 29].

(وَأَخْرِجْنِي) معطوف على قوله: (أن عليه) أي: اجعلني خارجاً.

(اللَّهُمَّ) أي: يا الله (بِالصَّلاةِ) أي بسبب صلاتي التي أنت خلقتها لي ووصفتني بها، كما خلقتني وخلقت جميع أعمالي وقلت: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: الآية 96] أي: وأعمالكم.

(عَلَيهِ) متعلق بالصلاة، واللام في الصلاة للعهد الذكري، أي: صلاتي التي تقدّم ذكرها، فهو متوسّل إلى الله بصلاته على النبي ﷺ أن يخرجه الله تعالى.

(مِنْ ظُلْمَةِ أَنانِيَّتِي) وهي قوله في نفسه: أنا، ووجدانه موجود في نفسه، مع أنه يعلم أن الله تعالى خلقه من عدم، وكان ﷺ إذا أقسم يقول: «**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»[1].

وقال الله تعالى بطريق الاستفهام ليعتبر الغافل في نفسه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: الآية 33].

(إِلَى النُّورِ) وهو نورك الذي لم يذكر في القرآن إلّا بالأفراد، وهو الوجود الحقّ الواحد الأحد المحيط بكل أحد، وليس غيرَه أحدٌ.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: الآية 35]، يعني وجودهما، والسماوات والأرض معدومات كلها من أصلها، ولم تتغيّر عن عدمها الأصلي، كما أنه لم يتغيّر عن وجوده الأصلي.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

وأخرجني أيضاً **(مِنْ قَبْرِ جِسْمَانِيَّتِي)** أي: جسمي من المقبور فيه نفسي الروحانيّة، المنفوخة فيه من أمر الله المحيط بكلّ شيء.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: الآية 85].

(إِلَى جَمْعِ) أي: اجتماع الخلائق كلهم الماضين، والحاضرين، والآتين إلى **(الحَشْرِ)** يقال: حشرتهم حشراً من باب قتل جمعتهم، ومن باب ضرب لغة، وبالأوّل قرأ السبعة، ويقال: الحشر الجمع مع سوق، والمحشر موضع الحشر، ذكره في المصباح.

فالخلائق كلهم الآن الماضين منهم والحاضرين والآتين كلّهم معدومون، محشرون بين يدي الوجود الحقّ والواحد الأحد.

(وَ) إلى **(فَرْقِ)** أي افتراقهم واختلافهم في **(النُّشُورِ)** نشر الموتى نشوراً من باب قعد حيّوا، ونشرهم يتعدّى ولا يتعدّى أو يتعدّى بالهمزة، فيقال: أنشرهم الله، ونشرت الأرض نشوراً حيّيت وأنبتت، وأنشزه ـ بالزاي ـ بمعناه، وفي التنزيل: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: الآية 259] في السبعة بالراء والزاء، ذكره في المصباح.

يعني بعد أن اجتمعت العوالم كلها في الموت والفناء والانعدام، فمنهم الذين ماتوا، ومنهم الذين يدّعون أنهم أحياء في الحياة الدنيا التي هي كما هي قال الله تعالى: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: الآية 20].

قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام: الآية 32].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: الآية 30].

وقال تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: الآية 21].

وقد افترقوا في النشور، فالحشر جمع، والنشور فرد، وهذا كله بالنظر إلى أن العوالم كلها غير الله تعالى، فهم خلقه دنيا وآخرةً، جمعاً وفرقاً.

وأمّا النظر الثاني إلى أن ما ثمّ إلّا الوجود الحقّ الواحد الأحد، فلا شيء غير الله الوجود الحقّ، ويقابله العدم، فإذا اعتبرتهما من غير امتزاج، لأنّ الامتزاج لا يكون إلّا بين الشيئين كل واحدٍ منهما موجود، وهنا أحدهما موجود والآخر معدوم، فالامتزاج مقدّر مفروض من طرف الشيء الموجود لا من طرف الشيء المعدوم، فهو أمر موهوم وشأن غير معلوم.

(وأَفِضْ) معطوف على أخرجني، من الفيض.

قال في المصباح:

«فاض السيل يفيض فيضاً كثر وسال من شقة الوادي، فاض الإناء فيضاً امتلأ، وأفاض بالألف لغة، ويقال: أفاض الرجل الماء على جسده صبّه».

وهذا أمر دعاء لله تعالى أن يفيض أي: يُكثر ويُجزل.

وقوله: **(عَلَيَّ)** بتشديد الياء للمتكلم **(مِنْ سَمَاءِ تَوْحِيدِكَ إِيَّاكَ)** أي: علمك لنفسك بنفسك أنك واحد أحد فرد صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد، كما أنزلته إلينا من كلامك القديم، على قلب نبيّك الكريم.

(مَا تُطَهِّرُنِي بِهِ) من أدناس الأغيار، وأوهام المعارف والأسرار **(مِنْ رِجْسِ)** أي: نجاسة، قال في المصباح: «الرجس: النتن، والرجس: القذر، وقال القاري: وكل شيء يقتذر فهو الرجس، وقال النقاش: الرجس النجس، وقال في البارع: وربما قالوا: الرجاسة والنجاسة، أي جعلوهما بمعنى واحد». وقال الأزهري: النجس القذر الخارج من بدن الإنسان.

(الشِّرْكِ) أي: واعتقاد وجوده غير وجود الله، **(وَ)** رجس

(**الإِشْرَاكِ**) واعتقاد أنَّ مع الله تعالى شيء آخر غيره، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: الآيتان 26، 27].

(**وَأَنْعِشْنِي**) أي أنقذني من عثرتي، قال في المصباح:

«انتعش العاشق نهض من عثرته، ونعَشه الله وأنعشه أقامه».

وقال في القاموس:

«نعشه الله كمنعه رفعه كأنعشه ونعش، وفلاناً جبره بعد فقر، والميت ذكره ذكراً حسناً».

(**بِالْمَوْتَةِ الأُوْلَى**) وهي التحقيق بحياة الحقّ تعالى المحيطة بظاهره وباطنه التي مزج بها من بطن أمه إلى الدنيا لأجل مسمّى، ثم كشف له أنه ميّت من جهة نفسه، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: الآية 185]، فالموت ذوق كما أنّ الحياة ذوق، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: الآية 2] ذوقها للعبد.

(**وَالوِلاَدَةِ**) أي: الخروج من بطن الأم (**الثَّانِيَةِ**) وهي الإعراض عن الجسم الترابي وعن شهواته وما يقتضيه من أنواع الغفلات، والكشف عن التجلّي الإلٰهي في كل شيء.

كما ورد في الأثر عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه كان يقول: «لَنْ يَلِجَ مَلَكُوتَ السَّماوات والأرض مَنْ لَمْ يُولَدْ وِلادَتَينِ، وِلادَةَ جِسمانِيَّة وَوِلادَةِ روحانِيَّة».

(**وَأَحْيِنِي**) أي: اجعلني حيّاً بالحياة الباقية، وهي حياته تعالى التي أحيى بها كل حيّ، وإن ألبس الأمر على الغافلين، وعميت عنها قلوب الجاهلين، ويكون ذلك (**في هذه الدُّنيا الفانِيَةِ**) التي لا وجود لها غير وجود الله تعالى عند أهل البصائر والأبصار، من عباد الله المقرّبين الأبرار.

(وَاجْعَلْ لِي نُوراً) وهو نورك الذي أضاءت له السماوات والأرض، وأشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، كما ورد في الحديث من دعائه ﷺ[1]، وجعل نوره تعالى له ظهوره به.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النّور: الآية 40].

(أَمْشِي) أصل المشي يكون برجلين.

قال في المصباح:

«مشي يمشي مشياً إذا كان على رجليه سريعاً كان أو بطيئاً، فهو ماشٍ، والجمع: مشاة».

(بِهِ) أي بذلك النور لا بنفسي **(فِي النَّاسِ)** هو اسم وضع للجمع كالقوم والرهط، وواحده إنسان من غير لفظه، مشتق من ناس ينوس إذا تدلّى وتحرّك، فيطلق على الجنّ والإنس.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [النّاس: الآية 5]، ثمّ قرأ الناس بالجن والإنس، فقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: الآية 6] سمّى الجنّ ناساً كما سمّوا رجالاً.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجنّ: الآية 6]، وكانت العرب تقول: رأيت ناساً من الجن، لكن غلب استعماله في الأنس.

قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام: الآية 32]، فالمشي في الناس هو التحقيق بحقائق الأشياء، والكشف عن ضلالات عالم الوجود الحق باقياً.

---

(1) ونصه: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك أو تحلّ عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك» رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ورواه غيره.

وقال البيضاوي:

«مثل به من هداه الله وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل».

(فَأَرَى) ظاهراً ببصري، وباطناً بقلبي، رؤية حاصلة **(بِهِ)** أي: بذلك النور **(وَجْهَكَ)** الذي تواجه به كل شيء معدوم، فيظهر عليه نورك الحيّ القيُّوم، فتقول العقلاء بالفهوم: وجد الشيء المعلوم، ويقول المحقق الذائق: ظهر وجه الله، وبطن الشيء الموهوم.

(أَيْنَ مَا تَوَلَّيْتُ) توجّهت بالحواسّ الخمس أو بالعقل في اليوم أو أمس، قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية 115] اسم جامع للذات والصفات والأسماء والأفعال، المحسوس في طريق الذائقين من أولياء الله تعالى العارفين، والنظر بالعقول في معاني النصوص والنقول في طريق الغافلين، الغائبين عن شهود ربّ العالمين.

والله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: الآية 101]، بأنه ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية 3].

(بِدُونِ) متعلّق بأرى أي: من غير **(اشْتِبَاهٍ)** أي: التباس.

قال في المصباح:

«الشبهة في العقيدة المأخذ الملبس، سمّيت شبهة لأنها تشبه الحق والشبهة العلقة، والجمع عليه تشبيهاً، مثل لبست عليه تلبيساً ونفاقاً ومعنًى، فالمشابهة المشاركة في معنًى من المعاني، والاشتباه الالتباس».

فقوله بعده: **(ولا الْتِبَاسٍ)** تأكيداً بالمرادف، مثل: قمت وقوفاً، وقعدت قعوداً وجلوساً، إظهاراً لمعنى اليقين في ذلك.

واجعلني **(نَاظِراً)** على وجه الكمال **(بِعَيْنَيِ الْجَمْعِ)** في شهوده الوجود الواحد محيطاً بجميع العوالم الكونيّة الحسيّة والمعنويّة الجسمانيّة

والروحانيّة، والكلّ معدوم فانٍ في وحدة الوجود الحقّ.

(وَالفَرْقِ) في شهود الكثرة المختلفة في هذه العوالم المؤتلفة وغير المؤتلفة، فالأول قرآن، والثاني فرقان، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: الآيتان 193 - 194]، وهو القرآن الجمع، الجامع لكلّ شيء.

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: الآية 38].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: الآية 1]، وهو الفارق بين الحق والباطل، فالأول بالذات، والثاني بالأسماء والصفات، وهما من وراء العوالم كلها.

قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: الآيات 19-22]، هو الفرق.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾ [الأنعام: الآية 27] أي: اطّلعوا بعد موتهم من الحياة الدنيا التي هي لعب ولهو ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فعرفوا أنه هو ولاهم ﴿قَالَ﴾ لهم ربّهم ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: هو الحقّ المبين الذي ليس معه في الوجود غيره؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام: الآية 30].

فإن قلت: قد حوّلوا أهل التفسير هذه الآية عن هذا المعنى الذي ذكرته وكذلك في بقية الآيات التي تستشهد بها أنت في هذا الكتاب وغيره وهو تفسير القرآن بالرأي والمفهوم العقلي، وهو مذموم شرعاً.

قلنا لك: هذا شيء أمرنا الله تعالى به في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد: الآية 24].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النّساء: الآية 82].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: الآية 17] للتذكُّر به في شأن

الله تعالى وشأن تجلّيه وغير ذلك، وقد أخبر تعالى أنه يسّره على عباده ولكلّ مَن له فهم بحول الله تعالى وقوّته.

ثم قال تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: الآية 17]، أصله: متذكّر ـ مفتعل في نفسه ـ ثم قلبت الذال دالاً وأدغمت في التاء فقيل: مدّكر.

قال البيضاوي: «ولقد يسّرنا القرآن: سهلناه أو هيّأناه من يسر ناقته للسفر إذا رحّلها، للذكر للإذكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر فهل من مدكر».

كرّر ذلك ـ أي هذه الآية ـ في هذه السورة أربع مرات في كل قصة إشعاراً بأن تكذيب كل رسولٍ مقتضًى لنزول العذاب، واستماع كل قصة يستدعي للإذكار والاتّعاظ، واستيفاءً واستئنافاً للتنبيه والإيقاظ، لئلّا يغلبهم السهو والغفلة.

وهكذا تقرير قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمٰن: الآية 13]، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: الآية 15] ونحوهما.

(فَاصِلاً) بحكم القطع والجزم **(بينَ الباطِلِ)** أي: المعدوم والمقدّر الثابت بلا وجود **(والحَقِّ)** أي: الموجود المطلق الحقيقيّ القائم بنفسه، المقوِّم لكل معدوم مقدّر ثابت بلا وجود، والفصل بينهما أمر حسّي يُعرف بالحسّ وبالعقل، قال الشيخ رسلان الدمشقي ـ قدّس سرّه ـ في رسالته[1]: «الناس تائهون عن الحق بالعقل».

(دَالاً) للناس **(بِكَ)** بحولك وقوّتك، لا بحولي وقوّتي **(عَلَيكَ)** بنطق لساني ورقم بناني.

(وَهادِيًا) أي: مُرشداً لكل من اتّبعني **(بِإِذْنِكَ)** متعلّق بـ هادياً **(إِلَيكَ)** أي: إلى معرفتك.

(1) الكتاب مطبوع بالدار وللكتاب عدّة شروح منها شرح الشيخ عبد الغني النابلسي.

متجلّياً بكلّ شيء **(بِرَحْمَتِكَ)** أي: كثير الرحمة من كل شيء **(يا أَرْحَمَ)** لأنهم كلهم آثار رحمتك، فيرحمون غيرهم برحمتك التي وسعتْ كل شيء، كما قلت: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: الآية 156].

(الرَّاحِمِينَ) فعَلَ دعاءَ ختمِ الصلاة الشريفة تأكيداً لفظياً لما تقدّم من تكرار هذه المرتبة المنيفة.

(وَصَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلاةً) موصوفة بأنها **(تَتَقَبَّلُ)** أي: تجعله مقبولاً **(بِهَا)** عندك، مجاباً بما دعوتك فيه **(دُعائِي)** مفعول تتقبّل.

(وتُحَقِّقُ) أي: تجعل **(بِها)** أي: بهذه الصلاة **(رَجائِي)** أي: ما أرجوه منك محقّقاً مقطوعاً بحصوله من غير تخلّف.

(وَ) صَلِّ وسلِّم كذلك **(عَلَى آلِهِ)** أي: أهل النبي ﷺ وكل من آل أي: رجع إليه ﷺ بنسب أو اتّباع **(آلِ الشُّهُودِ)** أي: الذين يشهدون الله في كل شيء ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88].

(وَ) آل **(العِرْفانِ)** أي: المعرفة الإلٰهيّة والعلم الربّانيّ بالهمّة الرحمانيّة **(وأَصْحَابِهِ)** ﷺ جمع صاحب، وهو كلّ من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإيمان إلى آخر الزمان، فإنّ رؤية النبي ﷺ باقية لأهل الكمال في الإيمان، من أهل الصدق والإيقان.

ولقد اجتمعتُ بواحدٍ منهم كان من العلماء الكاملين، وكان يخبرني برؤيته واجتماعه بالنبي ﷺ يقظةً، وكنت أجتمع به في المدينة الشريفة في الحرم النبوي عام مجاورتي في شهور رمضان سنة خمس ومائة وألف، فأقعد معه عند باب الحجرة الشريفة، ويخبرني بوقائعه مع النبي ﷺ، وأنا مصدّق له في كل ذلك ظاهراً وباطناً، وكان يحبّني وأحبّه، ويدعوني إلى بيته، فأفطر عنده، وأراني مرة تفسيره للقرآن في كذا مجلد، وهو من العلماء الكبار رحمه الله تعالى.

وللإمام القسطلاني في كتابه المواهب اللدنيّة ذكر رؤية النبي ﷺ لآحاد المتأخِّرين، وللجلال السيوطي رسالة في ذلك سمّاها «إنارة الحلك في إمكان رؤية النبيّ والملك».

(أصْحَابِ) يدل من قوله: وأصحابه يعني المصاحبين لتحقيق **(الذَّوْقِ)** أي: الكشف الحسيّ عن تجلِّي الوجود الحقّ بصور المخلوقات المعدمة **(والوُجْدَانِ)** لذلك على التحقيق في نفوسهم وفي جميع الأكوان **(مَا)** ظرفية مصدرية **(انْتَشَرَتْ)** أي: مدَّة انتشار.

قال في المصباح:

«نشرت الثوب نشراً خلاف طويته فانتشر».

(طُرَّةُ) هي في الأصل كفة الثوب، والجمع طرر مثل غرة وغرر، ذكره في المصباح.

وقال في القاموس:

«الطرة - بالضم - جانب الثوب الذي لا هدب له... وطرف كلّ شيء، والناصية» إلى آخر ما ذكره، وهذا في الأصل، وربما يراد بها الجملة المضفور من شعر الرأس أو شعر غير الرأس، وهو المراد هنا، ولهذا أضافها إلى **(لَيلِ الكِيانِ)** هو الكون بمعنى المكونات، فإنها ظلمة عدمية فانية، وانتشارها ظهور فنائها واضمحلالها في نور الوجود الحقّ، لأنه إذا ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ بأن ظهر لك ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: الآية 81] الذي هو المكونات، والباطل زهوق، أي زائل فانٍ في نفسه.

(وأَسْفَرَ)(1) أي انكشف **(جَبِينُ)** هو ناحية الجبهة من محاذاة النَّزْعَةِ إلى الصدغ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها.

قال الأزهري وابن فارس وغيرهما: فتكون الجبهة بين جبينين، ذكره

(1) وفي نسخة ورد عبارة [وأسفرت غرة] بدل [وأسفر].

في المصباح، والمراد بالجبين هنا طلوع نور الصباح، ثم أضاف الجبين إلى **(العَيَانِ)** أي المعاينة، يعني معاينة الحقيقة، طالعاً في ظلمة الأكوان الفانية والآثار البالية.

ثم قال: **(آمِينَ)** يعني استجب يا الله دعانا فيما دعوناك به.

(وَسَلامٌ) منّا ومنك أي: أمان من كل نقص **(عَلَى)** أنبيائك **(المُرْسَلِينَ)** منك إلى عِبادك لتنفيذ أمرك على حسب مرادك.

(والحَمْدُ) هو الشُّكر الدائم والثناء القائم **(للّهِ رَبِّ)** مالِكَ ومُربّي **(العَالَمِينَ)** جمع عالم بفتح اللام، والمراد بالعالمين ما سوى الله تعالى من المخلوقين.

وقد فرغنا من هذا الشرح المبارك ـ إن شاء الله تعالى ـ في يوم الأربعاء، السادس والعشرون من شهر شعبان سنة ثلاثمائة وواحد وثلاثين[1]، وقد أجزنا كلّ من كان من أخوتنا المسلمين، ونرجو أن يدعو لنا، ويترحّم علينا، ويقرأ لنا الفاتحة، ونرجوه تعالى القبول آمين.

(1) هكذا ورد بالأصل المخطوط وظاهر أنه خطأ لأن الشارح الشيخ عبد الغني النابلسي عاش ما بين سنة 1050 و1143 هجرية وواضح التباعد بين تاريخ الفراغ من شرح الكتاب وهذا التاريخ. ولعل الصواب سنة ألف ومائة وواحد وثلاثين، هذا والله تعالى أعلم.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

تقديم 3

ترجمة شارح الصلاة الكبرى الشيخ عبد الغني النابلسي 7

ترجمة مؤلف الصلاة الكبرى الشيخ الأكبر ابن عربي 9

نسبه 9

مولده ونشأته 9

مؤلفاته وشيوخه 15

نماذج من صور المخطوط 25

متن الصلاة الكبرى للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي الطائي . 29

الخطبة ومقدّمة الشارح 37

شرح الشيخ عبد الغني النابلسي على الصلاة الكبرى للشيخ الأكبر محيي
الدين ابن عربي 41

فهرس المحتويات 125

ŠARḤ AL-ṢALĀT AL-KUBRĀ

by

Sheikh Abdul Ghani Al-Nabulsi
(D. 1143H.)

edited by

Sheikh. Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon | كتاب - ناشرون | بيروت - لبنان